



المجلس الأعلى للغة العربية



- منبر حوار الأفكار -

42



تحرير تاريخنا من المدرسة

الكولونيالية

"بلاد الزواوة نموذجا"

الدكتور محمد أرزقي فراد

منشورات المجلس 2012

منبر حوار الأفكار

منبر مفتوح:

- التفكير الحر الهادف وتبادل الرأي حول قضايا:
اللسان والثقافة والمجتمع، المعاصرة والتاريخية.

موائده:

- ❖ أطروحات للمناقشة مع جمهور المثقفين.
- ❖ موائد مستديرة لتبادل الرأي: اتفاق واختلاف.
- ❖ أيام دراسية حول مسائل تشغل الرأي العام.

هدفه:

تحديث الأصالة وأصالة التحديث وتجديد الخطاب حول
الواقع والمأمول.

سلسلة منشورات الجيب
من إصدار المجلس الأعلى للغة العربية
الجزائر

جميع الحقوق محفوظة

تصميم وتنفيذ وإخراج: دار راجعي للنشر

الهاتف والفاكس: 021273696

Nradjai@yahoo.fr

جميع الحقوق محفوظة

تحريـر تاريخنا من المدرسة الكولونـيالية
بلاد الزواوة نموذجاً

الدكتور محمد أرزقي فراد

المجلس الأعلى للغة العربية

أكتوبر 2011م

كلمة منشط اللقاء الدكتور محمد لحسن الزغيدي

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين،

السادة أصحاب المعالي والوزراء، السيد مستشار
فخامة رئيس الجمهورية، السادة السفراء، السادة العلماء
والأساتذة، السادة ضباط الأمن الوطني وطلاب مدرسة
الأمن الوطني وطلابنا وطالباتنا في المؤسسات التربوية،
أرحب بكم في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية هذا
المجلس الذي ما فتئ يطوف بنا في رحاب وطننا الواسع،
الكبير بما يزر به من تراث وتاريخ ولغة ونضال واستقامة
لسان، فنقول للقائمين عليه رئيسا وإدارة وأعوانا جازاكم الله
خييرا.

أيها الحضور الكرام

تعيش الجزائر هذه الأيام احتفاليات غرة نوفمبر
الخالدة وعلى بعد أشهر من الاحتفاء بعيد ذاكرة استعادة
سيادتها كاملة غير منقوصة، وفي هذا المقام فإنه ليسعني
إلا توجيه تحية حارة وخاصة لجيل نوفمبر المجيد من أول
مجاهد أطلق أول رصاصة وأول مجاهد كتب الأحرف
النضالية بتبليغ للعالم والإنسانية رسالة نوفمبر إلى آخر
مجاهد كتب ووقع على تحرير هذا البلد فالعلامة الكاملة
لهذا الجيل والرحمة الواسعة في جنان الخلد لشهدائنا
الأبرار.

إخواني الكرام أخواتي الكريمات في هذا اللقاء الذي
يستضيف فيه المجلس أحد الكتاب النشطين، وأحد الرجال
الوطنيين المناضلين الأوفياء، من سلالة هذا الجيل
الأتقياء، يتناول موضوعا هو في مستوى بطولة الأبطال
ومن يجرؤ أن يتناول التاريخ كمصطلح ومفهوم وغاية،
ومن يجرؤ أن يتناول مرآة الأمة، لأن التاريخ ليس ذاكرة

فقط، بل التاريخ هو المرآة العاكسة الموضحة والمبينة
للسمات والبصمات البشرية، فمتلما يقوم الإنسان ويحرص
على نقاوة مرآته ليرى نفسه فيها في أحسن حلة، كذلك
يجب عليه أن يجعل تاريخه أمامه ليصح فيه نفسه
ويصح من خلاله مساره، لأن التاريخ مثل المرآة العاكسة
لسائق السيارة فهي تعطيك النظرة الخلفية لتصح من
خلالها نظرتك الأمامية، ولذلك فإن تاريخنا العظيم، هذا
التاريخ المسطر بدماء ملايين الشهداء، على الرغم مما ناله
من تزييف وتحريف وعبث بعض الأيدي الآثمة، مما يجعل
منه أو فيه مبررات وجود الاستعمار، وهذا ما فعلته الإدارة
الاستعمارية الفرنسية، منذ أن وطئت أقدامها النجسة أرض
الجزائر الطاهرة، عبر مجلاتها الإفريقية وعبر التقارير
الشهرية والأسبوعية من وإلى قياداتها وكذلك ما قام به
أيضا كبار مؤرخيها الاستعماريين ومن بينهم المخضرم
المعاصر المتوفى قريبا: "شارل أندري جوليان" في كيفية

معالجتهم لتاريخنا ولذلك فإن المدرسة التاريخية الكولونiale عبثت وما فتئت تعبث بهذا التاريخ المجيد حتى أوصلتها الجراءة واللاإنسانية حينما أصدرت قانون تمجيد الاستعمار. ولذلك فإن ضيفنا الأستاذ الدكتور محمد أرزقي فراد سيتناول في هذه الأمسية موضعا حول: تحرير تاريخنا من أيادي المدرسة الكولونiale، وتنزيهه منها بصفة عامة وحول تاريخ منطقة زاوية بصفة خاصة.

ويركز في مداخلته على دراسة هانوتو كأنموذج في دعوته إلى فصل منطقة القبائل عن باقي الوطن ضمن سياسة الأقليات وفرق تسد، وفي نفس الوقت سيدحض المحاضر هذه الأطروحات التي يعتقد بعض الجزائريين أنها تخدم المنطقة وفي الحقيقة فإنه تهدف من جملة ما تهدف إلى ضرب الاستقرار وتشتيت الأمة الجزائرية، فالأستاذ محمد أرزقي فراد غني عن التعريف لدى جمهور القراء، فهو صاحب القلم الأسبوعي في الشروق بركن (ثاموغي)

والذي من خلاله تجاوز احترافية التاريخ إلى عشق التراث
بكل ما يحمله من معنى.
هنئاً لنا بضيفنا وشكراً له مرة أخرى والكلمة له.

مداخلة الدكتور محمد أرزقي فراد

يكتسي " الوعي التاريخي " أهمية قصوى في صيانة حرية الأمة وكرامة شعبها. وقد أدرك الاستعمار ذلك في الماضي، لذا عمل على فصل الشعوب المقهورة عن تاريخها وأمجادها، حتى لا تستمد منها الدروس والعبر والشحنة الوطنية التي لا ترضى بديلا عن المقاومة والتحرير. ولم يشذ الاستعمار الفرنسي عن هذه القاعدة، فبعد نجاحه في احتلال الجزائر، شرع في سياسة عزل الجزائريين عن تاريخهم، عن طريق تدمير المؤسسات التعليمية، وقطع الصلة بأمجادهم التاريخية، وحرمانهم من التواصل مع العالم العربي. لم يكتف الجيش الفرنسي بالانتصارات العسكرية على أجدادنا، بل أسندت له الدولة الفرنسية مهمة أخرى لا تقل خطورة عن البندقية، ألا وهي إنجاز دراسات تاريخية/ سوسيولوجية/ أنتروبولوجية، غايتها فهم تركيبة المجتمع

الجزائري، والنفاز إلى أعماق ثقافته، من أجل إحكام السيطرة على الجزائريين أكثر. واعتبارا لخطورة تداعيات القراءة الاستعمارية لتاريخنا، على أجيال الاستقلال، فقد دعا الكثير من المثقفين الجزائريين إلى ضرورة تحرير تاريخنا منها، وفي مقدمة هؤلاء محمد الشريف ساحلي رحمه الله.

هكذا إذ اوظف الاستعمار الفرنسي الكتابة التاريخية والاجتماعية، من أجل تكريس مشروعه الاستعماري في الجزائر، ولعل من أهم خصائص هذا التوظيف المغرض، التركيز على الحقبة الرومانية، وتجاهل الحقب الأخرى الخاصة بالحضارتين الأمازيغية والإسلامية، ليظهر نفسه في موقع الوريث الشرعي للرومان. وتأسيس هذه الدراسات على أساس قاعدة " فرّق تسد"، الهادفة إلى تقسيم الجزائريين إلى عرب

وبربر، أشاعت وادعت أن العنصر البربري مؤهل
للاندماج في الحضارة الفرنسية أكثر، بحجة أن مسيحية
الزواوة قديمة متجذرة، وأن إسلامهم سطحي، ونظمهم
الاجتماعية مشابهة لما كان موجودا في أوروبا،
وبدعوى وجود روابط تاريخية وعرقية بين البربر وأجداد
الفرنسيين.

خرج من رحم هذه الرؤية الاستعمارية مشروع "
الشعب القبائلي" الانعزالي، الذي وصفه الكاردينال
لافيجري بكونه لبنان الجزائر. وقد عمل على تكريس
الضباط الفرنسيون- الذين كانوا سباقين إلى اختراق
بلاد الزواوة - بالكتابة عن عادات وتقاليد أهلها، نذكر
منهم بصفة خاصة إدوارد لابين Edouard Lapene
الذي كتب في وقت مبكر كتابه الشهير " ستة وعشرون
شهرًا في بجاية " سنة 1839. ثم صدر بعده كتاب "

القبائل الكبرى دراسة تاريخية La Grande
Kabylie, Etudes Historiques أنجزه العقيد
دوماس : M. Daumas ، بمساعدة الملازم فابار M.
Fabar سنة 1847م، وتلاه كتاب Etudes sur La
Kabylie proprement dite الصادر سنة
1848م، لصاحبه النقيب كاريت Carette، ثم تلاه
كتب عديدة لضباط آخرين أمثال هنري
أوكايبتان Aucapitaine ، وهانوتو (محل الدراسة)،
وإميل ماسكيري، و جول ليوريل Jules Liorel صاحب
كتاب Kabylie du Jurjura الصادر سنة 1892م،
وغيرهم.

جاءت غالبية الدراسات الفرنسية المخصصة
للمجتمع الزواوي في هذا السياق المغرض، لذا يجب
التنبه إلى الأخطار التي قد تشكلها قراءتها خارج

سياقها التاريخي، الأمر الذي يستلزم إعادة طبعها وهي
موشحة بإرشادات المتخصصين، لتحسين النشء من
مغالطاتها وتزويرها للحقائق. هذا وقد فوجئت بإعادة
طبع التقرير الذي كتبه أوجين دوماس سنة 1856م،
وسلمه للماريشال راندون (الحاكم العام للجزائر)،
ليستفيد منه في حملته التي استهدفت إخضاع الزواوة
سنة 1857، طبع في فرنسا، في كتاب بعنوان "
القبائل"، وكره مدح للزواوة، وقدح للعرب، ودعوة
صريحة إلى زرع الفرقة والعداوة بين العنصرين بشكل
تجاوز حدود المعقول. ومن دواعي القلق أن يعاد
طبعه سنة 2001م، تزامنا مع قيام حركة " لعروش" في
بلاد الزواوة ، ولا أستبعد أن يكون هذا التزامن قد تم
بنيّة دفع الأوضاع إلى مزيد من التناقم آنذاك.

وعلى أي حال سأقتصر في محاضرتي هذه على تقديم كتاب أدولف هانوتو الموسوم: " القبائل وأعرافهم " كنموذج للمدرسة الكولونيالية التي ركزت كثيرا على المجتمع الزواوي.

من هو أدولف هانوتو؟

أدولف هانوتو (1814 - 1897م) ضابط فرنسي مشهور، كرس حياته لخدمة مصالح الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالبنديقية والقلم. وصل إلى الجزائر سنة 1845 برتبة ملازم، وعيّن سنة 1846 موظفا في الإدارة المركزية للشؤون العربية التي كان يشرف عليها الجنرال أوجين دوماس، واقتضت منه هذه الوظيفة تعلم اللغتين العربية والأمازيغية، الضروريتين للتواصل مع الجزائريين والإحاطة بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، بهدف توفير سبل النجاح للمشروع الاستعماري . ثم عيّن

رئيساً لمكتب الشؤون العربية بالمدينة لبعض الوقت،
ليشارك بعدها في الحملات العسكرية التي استهدفت
منطقة زاووة (القبائل) خلال سنوات **1847م**،
1854، **1856**. وفي سنة **1859** عُيِّن قائداً على
مركز ذراع الميزان العسكري ، ليحوّل إلى ثكنة حصن
نابليون (لربعا ناث يراثن) سنة **1860**. ثم عاد إلى
مدينة الجزائر سنة **1862** لتسند له المديرية العامة
لشؤون الأهالي، ليعود ثانية إلى قيادة ثكنة لربعا ناث
يراثن سنة **1866م**، وهناك تم التحرير النهائي لكتابه
موضوع الدراسة.

الغاية من دراسة هانوتو للمجتمع الزواوي

استغل أدولف هانوتو وجوده في منطقة القبائل،
ليدرس عادات وتقاليد أهلها، ونمط معيشتهم، وإبداعاتهم

الشعرية، وقواعد لسانهم الأمازيغي دراسة عميقة، لفهم قوانينهم الاجتماعية، والإحاطة بثقافتهم المتميزة، بغرض السيطرة عليهم أكثر ، وليس لأهداف علمية كما يتوهم البعض. ولا شك أن أعماله هذه قد تقاطعت مع فلسفة الاستشراق، المكرسة لهيمنة الغرب على العالمين العربي والإسلامي، منذ القرن التاسع عشر، من خلال الدراسات الاجتماعية والإنسانية. وقد فضحها المفكر العربي الكبير إدوارد سعيد في كتابه القيم " الاستشراق "، الذي هزّ الغرب منذ صدوره بأمريكا سنة 1978م.

مؤلفات هانوتو وخطورتها

استغل أدولف هانوتو تفوق الغرب في المجال العلمي والمعرفي، فوظّف الكتابة، كمكمل للسلاح الناري الذي قوّض أركان سيادة الجزائر، وعليه فلا

يمكن عزل مؤلفاته عن المشروع الاستعماري، بل جاءت رافدا قويا له.

ومما لا شك فيه أن خطورة هذه المؤلفات تكمن في طبيعة تحليلها ومناقشتها وتفسيرها لثقافة منطقة جرجرة وطبائعها، فهي تعتبر الزواوة عرقا متميِّزا يختلف عن باقي سكان الجزائر في أصله وفصله ولغته وثقافته. والأخطر من ذلك أنها كتبت بأسلوب محقّر لثقافتنا وأمجادنا ومشوّه لديننا، يوحي بأن مجتمعنا محكوم بمعطيات ثقافية وعرقية جامدة، وليس بظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية آيلة إلى التغيير، وعليه فإن الحل - برأيه - يكمن في الاندماج في الحضارة الفرنسية المتفوقة. ولعمري فإن هذا التحليل الشوفيني الإيديولوجي يمثل قمة العنصرية والهيمنة والاستعلاء. ومن نافلة القول التذكير بان هذه الأفكار المسمومة لا

تظهر صراحة في مؤلفاته، الأمر الذي يجعل خطرها على القارئ يزداد تفاقما وفتكا.

هذا وقد خصص كتابه الأول لقواعد اللسان القبائلي سنة **1858**، كتمهيد لزرع الذهنية الانعزالية، ثم أتبعه

بكتاب "الشعر الشعبي لقبائل جرجرة **Poésies** " populaire de la Kabylie du jurjura

سنة **1867**م، أساء فيه بالتلميح، بصفة خاصة إلى الشيخ الصديق بن أعراب، وهو من أبطال المقاومة الشعبية، وسليل عائلة عريقة في العلم بعرش آث يراثن.

أما كتابه الثالث بعنوان: منطقة القبائل وطبائع أهلها **La Kabylie et les coutumes kabyles**

فقد استغرق انجازه مدة عشر سنوات بمساعدة " لوتورنو " الذي تكفل بتحرير الكثير من فصوله. وتمت مراجعة

الكتاب من طرف هانوتو، ولوتورنو، بمعية أعيان

القبائل العارفين للثقافة الزواوية، ثم سلم للحاكم العام
ماكماهون في شهر سبتمبر 1868م.

ويعد هذا الكتاب بمثابة "موسوعة ثقافية- اجتماعية"
لمنطقة جرجرة في القرن التاسع عشر، علما أن
المؤلف لم يخف الغاية من تأليفه، إذ أشار في مقدمته
إلى أهميته في مساعدة الإدارة الفرنسية على بسط
نفوذها، وهدم القضاء الإسلامي، تمهيدا لتكريس
القضاء الفرنسي في المنطقة.

ولئن جاءت هذه الأعمال بوصفها رافدا في سياق
الجهود المبذولة لتكريس مشروع الاستعمار، فقد أسدى
هانوتو عن غير قصد خدمة جليلة لتراتنا الشفوي، حين
أنقذه من الضياع، فبلغنا - كما ذكر الأستاذ يوسف
نسب في تقديمه للكتاب الثاني- في شكل وثيقة
تاريخية وثقافية هامة (1) .

ورغم الأهمية العلمية التي تكتسيها عملية تدوين التراث الشفوي المحلي، فإنها مصبوغة برؤية تحليلية فرنسية استعمارية، لم تتوان عن استهداف وحدة الجزائريين، عن طريق التركيز على الخصوصية الثقافية للمنطقة، قصد نزع الخلاف بينهم، و زرع الفرقة في أوساطهم، وضرب الإسلام - بصفته حبلًا متينًا أفضل المساعي الإيديولوجية الاستعمارية - بسعي الفرنسيين إلى تحطيم المؤسسات التعليمية (الزوايا)، حين استولوا على أوقافها وأملكها. كل ذلك من أجل أن يصبح سكان المنطقة لقمة سائغة لمشروعها الاستعماري الهادف إلى طمس الهوية الجزائرية، ومن أجل إدماجهم في الحضارة الفرنسية.

وقبل الاسترسال في استعراض محتوى كتاب " القبائل وأعرافهم"، لابد من تسليط الأضواء على

الملايسات والظروف التي مكّنت هذا الضابط، من انجازه، مع العلم أن فرنسا لم تدخر أي جهد من أجل تسخير كل الإمكانيات المادية والبشرية والمالية، لتوفير جميع شروط النجاح له، لأنها كانت في حاجة ماسة إلى "قناع ثقافي" تخفي به إيديولوجيتها الاستعمارية، وتستعمله كحصان طروادة لتشتيت الجزائريين و تمزيق أوصال وطنهم .

دور سي موله ناث واعمر في جمع القوانين العرفية

استطاع الضابط الفرنسي أدولف هانوتو أن يحقق نجاحا كبيرا في دراساته العميقة للمجتمع الزواوي، بفضل المساعدة التي تلقاها من طرف مُخبرين محليين، أولهما سي مولة ناث أعمر، المقيم في قرية تامازيرث (دائرة لربعا ناث يراثن بولاية تيزي وزو). ولئن كانت

عائلته تدرج ضمن فئة المرابطين التي ارتبطت تاريخيا بتعاطي القضاء والتعليم والإمامة في بلاد الزواوة، فإنها في الحقيقة ذات أصول تركية.

وحسب ما جاء في الرسالة التي وجهها سي سلطان بن سي موله، إلى الجنرال موريس هانوتو (ابن أدولف هانوتو) بتاريخ 24 أوت 1920م، فإن عائلته الشريفة قد حلت بالجزائر في القرن الحادي عشر الميلادي، قادها ثلاثة أخوة ، استقر أحدهم في غليزان، والثاني في قسنطينة، في حين استقر الثالث (أعمر الحنفي) في قرية ثامازيرث بعرش آث يرائن، وأسس هناك في موقع "محريرز" مدرسة، وصفها سي سلطان بن موله ناث أعمر بكونها مدرسة رائدة في تعليم العربية والفقہ الإسلامي بمنطقة زواوة(2).

وتبوأت هذه العائلة بفضل دورها التعليمي مركزا مرموقا في عرش آث يراثن، وصار أبنائها من أعيان المنطقة، ومما يؤكد ذلك مشاركة سي محند الحناشي ناث واعمر في معركة اسطاوالي في جوان **1830**، بصفته قائدا للعرش، تحت لواء زاوية الشيخ ابن أعراب. لكنه لم يلبث أن غير موقفه تجاه الفرنسيين منذ **1845**م، حين أرسل ولديه سي لونيس، وسي موله إلى مركز دلس العسكري للتقرب من الفرنسيين (3)، الأمر الذي جعل الشيخ الصديق بن أعراب يهاجم هذه العائلة سنة **1855**، بعد أن لاحظ عزوفها عن دعم الثورة و الجهاد. وعقب وفاة سي محند أولحناشي سنة **1857**، عمل سي لونيس في الشؤون العسكرية، في حين تولى سي موله ناث واعمر الشؤون الدينية والتعليمية

والقضائية باعتباره متعلما ذا إلمام واسع بالعلوم الشرعية
والعرف المحلي تحت لواء فرنسا.

وعلى اثر تأسيس الثكنة العسكرية الفرنسية بعرش

آث يراثن (حصن نابليون) سنة **1857**م، عين

الفرنسيون سي موله موظفا (خوجة) في مكتب الشؤون

العربية، فوضع خبرته ومعارفه الشاملة للقوانين العرفية

المحلية والشريعة الإسلامية (الفقه المالكي) في خدمة

الفرنسيين، وظل في منصبه إلى قيام ثورة **1871**م، أما

أخوه سي لونيس الذي كان أمينا لقرية تامازيرث، فقد

ساعده الفرنسيون للفوز بمنصب أمين الأمناء لـ"

تاجماعث" عرش آث يراثن الذي مكث فيه إلى سنة

1872، ليتحصل في غضون هذه السنة على برونوس

القيادة أسوة بأخيه سي موله. وعندما تقاعد سنة

1892، خلفه ابنه سي الحنفي. هذا وتجدر الإشارة إلى

أن الثوار والمجاهدين قد أحرقوا منزل العائلة في قرية
ثامازيرث في خضم أحداث ثورة 1871م، وفرّ أفرادها
إلى الجمعة نصهريج حيث مقر أخوالهم.

دور الحاج السعيد وأعلي ناث بوذرار

يعتبر الحاج السعيد وأعلي الشخصية المحلية الثانية
من حيث الأهمية التي ساعدت الضابط هانوتو في
جمع المادة العلمية لكتابه الخاص بطبائع زواوة . ولد
بقرية إغيل بواماس ناحية جرجرة (ولاية تيزي وزو)
سنة 1829م، وهو حفيد المرابط سي الجودي الذي
تأرجح موقفه السياسي من الفرنسيين، بين المقاومة
وموالات فرنسا التي منّت عليه بمنصب باشاغا ناحية
جرجرة. وقد توسط هذا الأخير لحفيده الحاج السعيد
وأعلي، ليتحصل على وظيفة مترجم لدى المكتب
السياسي للشؤون العربية بالجزائر سنة 1854م، ومكث

بهذا المنصب إلى سنة **1859م**، ثم حوّل إلى قيادة
دلس ومكث بها إلى سنة **1867م**، ليحوّل من جديد
إلى قيادة بني منصور. وعين بعد ثورة **1871**خوجه لـ"
لمين " آث عطاف إلى أن توفي سنة **1776م**.

**تعاون " أ. لوتورنو A. Letourneux " مع
الضابط هانوتو**

شاعت الصدفة أن يلتقي الضابط هانوتو بالمستشار
القانوني لمحكمة الجزائر
"لوتورنو **A. Letourneux** " على ظهر الباخرة
المتجهة من الجزائر إلى مرسيليا في صائفة **1863م**.
وقد اشتهر هذا الأخير باهتمامه بمنطقة القبائل بصفته
هاويا لاكتشاف النباتات الطبيعية ومعرفة أسرارها، علما
أن هانوتو كان في أمس الحاجة إلى من يساعده في
أمر تحرير كتاب " القبائل وطبائع أهلها ". فلما عرض

عليه هذه الفكرة رحّب بها أيّما ترحيب، خاصة وأنه كان ضالعا في الفقه الإسلامي، ومتمكنا من اللغة العربية، فضلا عن كونه عاشقا لركوب المغامرة في المجالات الاستكشافية.

هذا وقد كدّ الرجلان بثبات وحزم طيلة السنتين **1864** و**1865**، قصد الإسراع في إنجاز هذا الكتاب الضروري للمشروع الاستعماري، لذلك لم ير الحاكم العام بدا من إعفاء الضابط هانوتو من التزاماته الأخرى، ليتفرغ له فقط ، وفي هذا السياق أيضا قرر الجيش الفرنسي استدعاء كل فرد من سكان زاوة، قادر على إفادة هانوتو بالمادة العلمية للتعجيل بانجازه. ورغم فتور جهود مساعده " لوتورنو" بعض الشيء، فقد كللت جهودهما بالنجاح بإتمام تحرير مخطوط الكتاب في شهر سبتمبر **1868**م، وسلّم للحاكم العام ماكماهون،

الذي أرسله إلى المطبعة الملكية بباريس في شهر
ديسمبر من نفس السنة، لكن المخطوط كاد أن يضيع
في خضم أحداث حرب السبعين، واضطرابات بلدية
باريس المندلعة سنة **1871م**. وعلى أي حال فقد
صدر الجزء الأول منه سنة **1872م**، والجزءان
الآخران في غضون السنة الموالية (**1873م**).

محتويات الكتاب

صدر الكتاب في ثلاثة أجزاء ، بلغ مجموع صفحاته
الإجمالية **1238** صفحة (3).
خصص الجزء الأول لدراسة الظروف الطبيعية لمنطقة
القبائل، من حيث التركيب الجيولوجي والغطاء النباتي
والحيوانات والطيور البرية، وحالة السكان من حيث
الجنس، وتوزيعهم على الأعراش واللغة والديانة والسكن
والغذاء واللباس والأمراض والأوبئة، والنشاطات

الاقتصادية كزراعة الحبوب وغرس الأشجار وتربية الحيوانات، والنشاطات الصناعية العديدة (صناعات الزيت والصابون والجلود والصوف والفخار والعملة المزيفة والقماش والطرز والحلي والنقش والطواحين والغرابيل والمصنوعات الحديدية والأخشاب) والتجارة وموازينها.

أما الجزء الثاني فقد خصصه لمختلف تنظيمات [ثاجماعث] التي تنظم شتى جوانب الحياة في القرية، بدءا بتشكيل نظام ثاجماعث وتنظيم العلاقات بين السكان في مجالات التساكن والجوار، والزواج والطلاق والأفراح والأتراح، والخدمات المشتركة كالإجارة، والأعمال الفلاحية كالمزارعة والمغارسة، والنشاطات المعيشية، وأنواع معاملات البيوع، والوقف، والرهن، والشفعة، والإقراض، وتحديد الحقوق والواجبات، وأنواع

المخالفات وعقوباتها، التي شملت كل نواحي الحياة في القرية.

وخصص الجزء الثالث للجانب القضائي، فأورد عشرين (20) قانونا عرفيا بالتفصيل، وثلاثين (30) قانونا عرفيا باختصار لمختلف القرى، وقد جمعها على العموم ما بين (1858-1864م) من خمس دوائر (محاور) كبرى، حيث تتمركز القيادات العسكرية، هي:

1- محور ذراع الميزان : تم جمع القوانين العرفية من القرى التالية: شرفه فيغيل فيكن، إغيل إموله، ثاوريرث عبد الله، أذرار أملال، آث بو شماشه، آث علي ولؤل، آث عبد العالبي ، أوفذال.

2- محور حصن نابوليون (لربعا ناث يرانن): قام بجمع القوانين العرفية من :

آث يرانن، آث فرح، قرية كوكو ، ثيروال أفتي تسلانت،
إغيل بواماس، ثاوريرث أنثيذيلس ناث منقلات،
ثيكيشورث، ثيفيلكوث، ثاوريرث ناث يجر، آث سعاده،
ثابوزه، ثيفريث ناث أومالك، آث يني ، أغير ناث
يتسوره.

3- محور تيزي وزو : شمل القرى و الأعراش التالية:

الجمعه نصهاريج، آث خليفة، ثاقمونت أوكروش، آث
عيسى وميمون، آث لعذر ، آزفون، آث غبري، آث
بوشعيب، آث خليلي، آث دواله، آث محمود ،
بوهينون، إبطران، آث فليق، إغيل نذكري، آث حساني
، إعزوزن بواده، إعمرابين، معاتقه، إجابزين.

4- محور دلس : تكفل المترجم العسكري الفرنسي

ميبير Meyer بجمعها من المناطق (الأعراش)
التالية: آث واقنون، وإفليس لبحار، وإفليس أومليل.

هذا والجدير بالذكر أن أعيان الزواوة قد حرروا القوانين العرفية المسلمة للضابط أدولف هانوتو باللغة العربية في غالب الأحيان، وبالأمازيغية المكتوبة بالحرف العربي أحيانا أخرى، كما هو شان قرية آث علي أوحرزون بجرجرة، وهو الأمر الذي يؤكد اختيار الزواوة منذ القديم الحرف العربي لكتابة الأمازيغية، وقد أكد

Moeurs et أوجين دوماس في كتابه

Coutumes de L Algérie أن مكتبة زاوية

شلاطة كانت تحتوي آنذاك على مخطوطات أمازيغية مكتوبة بالحروف العربية.

هذا ويكتسي عمل هانوتو أهمية تاريخية باعتباره

رائدا في هذا المجال، تتبعته أعمال أخرى لإميل

ماسكيري **Masqueray** (تكوين الحواضر عند

حضر (الجزائر) الصادر سنة 1886م ، وسي أعمر بوليفة الذي نشر قانون "عذني" سنة 1905م .

مؤلفات هانوتو في الميزان

إنه لمن الموضوعية العلمية أن نعترف أن أجزاء كبيرة من ثقافتنا الشفوية قد وصلت إلينا بفضل أعمال هانوتو، المتميزة بالمعلومات التاريخية والاجتماعية والثقافية الدسمة. وعليه فقد وفرّ المادة العلمية الغزيرة التي تساعد الباحثين في شتى المجالات من إعداد الدراسات التاريخية والأدبية واللغوية والاجتماعية للمجتمع الزواوي خلال القرن التاسع عشر.

بيد أن كتابات هانوتو جاءت حاملة للرؤية الاستعمارية، مفادها أن فرنسا المتحضرة قد جاءت إلى الجزائر المتخلفة من أجل نشر الحضارة، فبعد

الانتصار العسكري جاء دور القلم للإجهاز على
هوية الشعب الجزائري وتاريخه وثقافته، قصد
تفكيك وحدته، تمهيدا لدمجه في الحضارة الفرنسية
المنتصرة. وفي هذا السياق رسم الجنرال هانوتو
صورة قاتمة للمجتمع الزواوي، فشوّ سمعة المرأة
الزواوية التي زعم أنها لا تعدو أن تكون بضاعة
تباع وتشتري في المجتمع الذكوري، وعلى ضوء
هذه "النظرة الدونية / التحقيرية" لم يتوان عن تشويه
سمعة المجاهدة البطلة لالة فاطمة أنسومر، إذ لم
يكتف بالتعتيم على نضالها البطولي فقط ، بل تجرأ
بكل وقاحة على خدش عرضها بأساليب ملتوية
وإشارات تلميحية، مفادها أن غرفتها كانت في
موضع منعزل، ذات ضوء خافت ، تستقبل فيها

الزوار فرادى، مع تخصيصها وقت أطول للشباب
!! (4) .

أما البطل المجاهد بوبغلة فهو برأى هانوتو
مجرد مغامر وقاطع الطرق، مات ميتة حقيرة !! (5).
في حين اختزل المجاهد الصديق بن أعراب زعيم
المقاومة في عرش آث يرانن ، في كونه رجلا
فاسقا، ضيق الأفق، وهارب من ساحة الوغى، وبأنه
نال شهرته عن طريق استغلال العاطفة الدينية !!
(6).

هذا وقد دفعته رغبته الجامحة في تمييز الزاوية
عن بقية الجزائريين، إلى تفسير ظاهرة إقبال زاوية
على وقف بعض أملاكهم لصالح المؤسسات
التعليمية، بالتحايل من أجل حرمان المرأة القبائلية
من الميراث !! (7).

ضرورة تأسيس مركز وطني للدراسات الأمازيغية

وبقدر ما نحتاج إلى مؤلفات هانوتو التي لا يمكن القفز عليها - باعتبارها مدونة وثائقية نافعة - فإن الاستفادة منها يقتضي إعادة قراءتها قراءة علمية وموضوعية، جديرة بتخليصها من الرؤية الاستعمارية. وبعبارة أخرى فإن إعادة طبعها بمنظور وطني وعلمي يعتبر ضرورة تربوية، تساعد القارئ والدارس على تلافي سموم الدراسات الكولونيالية التي - مع الأسف - لا تزال تفعل فعلها في عقول الناس.

ولعل أفضل إطار لهذه الجهود العلمية المنتظرة، الرامية إلى تخليص تاريخنا من قراءة الآخر المغرضة، هو تأسيس مركز للتوثيق خاص

بالدراسات الأمازيغية يوفّر المادة المعرفية للباحثين،
وهذا من أجل فهم أفضل للتراث الأمازيغي، ولنا في
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء
(المملكة المغربية الشقيقة) التي أسّست مركزا
لتوثيق الدراسات الأمازيغية، قدوة حسنة، يجب أن
تشرّب إليها أعناق الجزائريين للاستفادة منها. ولا
غضاضة في ذلك ، ما دامت الحكمة ضالة المؤمن
أنيّ وجدها، فهو أحق بها.

الهوامش

1- أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية

في كتاب هانوطو ، أمحمد جلاوي ،

مؤسسة زرياب،2005.

2- Les qanouns Kabyles.

Augustin Bernard/ L Milliot .Paris

.1933.P.6.

3- La Kabylie et les Coutumes

Kabyles.A Hanoteau et A.L/éditions
Bouchene.2003.

4- أشعار شعبية من قبائل جرجرة ،ص 16.

5- المرجع نفسه ، ص 13.

6 - المرجع نفسه،ص ، 110.

7-A Hanoteau, **OP.CIT.**, T,2.P.170.

إضافات

ارتأينا ضرورة إثراء هذه الدراسة، ببعض المقالات الأخرى للكاتب نفسه، وهذا من باب تعميم الفائدة.

جذور المبشرين << المنهجين >> في بلاد الزاوية

اختلفت الآراء حول تحديد هوية المذهب المسيحي الذي يمارس اليوم عملية التنصير في القطر الجزائري برمته، ولئن كان أمر انتمائه إلى البروتستانت محسوماً، فإن تحديد نوعية المذهب بالدقة، لا يزال مثار خلاف بين المتتبعين لهذه القضية. فما هي حقيقة المبشرين الأمريكان الذين يشرفون على ظاهرة التنصير في الجزائر وبقية شمال إفريقيا ؟

صادفت أثناء مطالعاتي التاريخية مصطلح " المبشرين الإنجيليين" في عدة مصادر فرنسية، أبدى كاتبوها قلقهم إزاء نشاطهم ، بسبب اعتمادهم في تقريبهم من الجزائريين، على توجيه نقد لاذع للدولة الفرنسية المحتلة للجزائر، ومن بين هؤلاء المهندس لوي سيكار Louis Sicard الذي لاحظ أثناء إشرافه على

ترسيم مصادرة الأراضي في عرش إغيل أنكري بناحية
إعزوفن (ولاية تيزي وزو) في العشرية الأخيرة من القرن
التاسع عشر، وجود إرسالية تبشيرية مسيحية إنجليزية
مشكلة من ثلاث أوانس (جيرار Gerards) بقرية "
ثابعرورث " كنّ يقدم خدمات اجتماعية للنساء، ولاحظ
أنهنّ كنّ ينتقدن فرنسا بشدة ، لذلك اقترح بناء مدرسة
لمواجهة نشاطهن المضر بمصالح فرنسا(1).

غير أن الوثيقة التاريخية التي ألفت أضواء ساطعة
على هوية هؤلاء المبشرين غير الكاثوليك، الذين كانوا
ينشطون في بلاد الزواوة، وعلى الجهة الممولة لهم،
تمثلت في مقال الكاتب الفرنسي " روني فانلاند"
المنشور سنة 1929م، في مجلة "نوتر ريف". ونظرا
لأهميته فقد قام الإمام عبد الحميد بن باديس بتكليف
شخص صديق له (لم يذكر اسمه) بترجمة هذا المقال،

ثم نشره في أربع حلقات في مجلة الشهاب سنة
1929م، في الأعداد:

- ج4، المجلد 5، شهر ماي.

- ج5، المجلد 5، جوان.

- ج6، المجلد 5، جويلية.

- ج7، المجلد 5، شهر أوت.

نشر المقال تحت عنوان : (جماعة المبشرين

الأميركانية >> ميتوديست << ببلاد القبائل).

وقبل تلخيص المحاور الرئيسية لهذا المقال المهم،

يقتضي المقام تعريف مذهب المبشرين المنهجيين، فمن

هم هؤلاء الميتوديست؟

حركة المنهجيين

Le

ظهر مذهب المنهجيين المسيحيين

mouvement Méthodiste في القرن الثامن عشر،

وكانت الانطلاقة من جامعة أكسفورد الانجليزية سنة

1729م، وتفرد أنصاره بطريقة خاصة في تلاوة

الصلوات وقراءة الكتاب المقدس، لذلك أطلقت عليهم

تسمية المنهجيين. ثم سرعان ما تحول هؤلاء المنهجيون

إلى حركة دينية شعبية سنة 1738م على يد جون

ويسلي John Wesley (1703 - 1791م) الذي

شرع في التبشير الإنجيلي.

ومن خصائص هذا المذهب أن مصدر المعتقدات

هو الكتاب المقدس كما يبرزها التقليد والخبرة الشخصية

والعقل. وبالنسبة للشعائر الدينية فإنهم يمارسون سرّين

كرمز لمحبة الله وعهده، وهما المعمودية، والمشاركة في

العشاء السري لتذكر آلام المسيح وموته. ويعتمد

المنهجيون من حيث التنظيم شكلا أسقفا لسلطة الكنيسة، شبيها بنظام الحكومة الفيدرالية. ومن معتقداتهم الدينية أن نعمة الله سابقة للخلاص، كما يؤمنون بإمكانية ارتكاب المسيحي لخطايا تجعله يفقد الخلاص (2). هذا وقد انتشر المذهب المنهجي في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا بدرجة أقل، واعتنقته شخصيات سياسية بارزة هناك.

فحوى المقال

وصف " روني فانلاند " في مقاله، المبشرين المنهجين، بكونهم شيعة أمريكية، يتلقون التمويل والتعليمات من أمريكا، وهم لا ينشطون لاعتبارات عقائدية، بل يدعون الله : أن يجعل الأمة القبائلية على قلب أمريكا الكريمة. وأقام المبشرون الأمريكيون العاملون في بلاد القبائل آنذاك مركزهم في حي الأبيار

بالجزائر العاصمة، وأودعت الأموال المتهاطلة على هذا المركز، في بنك انجليزي، يشرف عليه مطران من جنسية أمريكية، أما الأعوان فهم من جنسيات أمريكية وانجليزية وسويسرية.

مدرسة للبنات ومأوى للأطفال وخدمات مغربية

ذكر الكاتب أن هذا المركز يملك بحي الأبيار مدرسة للبنات، ومأوى للأطفال، ويتمتعون بالنظام الداخلي، واللباس المجاني، مع تحمل نفقات السفر لأهلهم في أوقات العطلة، ويتلقى أولياء هؤلاء الداخليين مبلغ (60) فرنكا على سبيل المساعدة.

مراكزهم في بلاد الزواوة

ذكر الكاتب روني فانلاندر، أن المبشرين المنهجين كان لهم مركز بقرية تابغرورث بدوار إغيل نركري، يشرف عليه شخص (لم يذكر اسمه) بمعونة زوجته وابنه، ونساء انجليزيات وسويسريات، وكان هذا المركز - برأي الكاتب - يتمتع بنفوذ واسعة، بفضل علاقات المدير مع أعيان القرى من جهة، وأعداء الإدارة الفرنسية من جهة أخرى، ولطول المدة التي قضاها مديره هناك (حوالي 30 سنة)، جعلته يتقن اللغة الأمازيغية، فدأب على تشجيع الأطفال والأهالي على التحدث بها معه، بدل اللغة الفرنسية. لذلك صار الأهالي يفضلون زيارة المركز طلباً للخدمات الصحية والاجتماعية، على زيارة الممرضة الفرنسية التي عينت لتوها هناك، وهي لا تعرف اللسان القبائلي. هذا وقد تأسف الكاتب الفرنسي على الحملة الشرسة التي كان

أعضاء هذا المركز التبشيري يشنونها ضد الدولة الفرنسية، وتحريضهم للسكان ضدها ، بتذكيرهم أنه في الوقت الذي يقدم مركز التبشير الأمريكي خدمات عديدة لهم، فإن الإدارة الفرنسية لا تتصل بهم إلا عند جمع الضرائب.

كما كانوا يملكون دارا بقرية أغريب، وأخرى بفريحة (ولاية تيزي وزو)، يقدمون فيهما نشاطات ترفيهية، وفي مقدمتها العروض السينمائية، وكانوا يستغلون هذه الفضاءات لنقد الفرنسيين، ولتقديم كتب الإنجيل للأطفال المتمدرسين في المدارس الرسمية بالتنسيق مع مبشر أنجليزي مقيم في مدينة عزازقة.

أما مركز لربعا ناث يراثن (ولاية تيزي وزو)، فكان يقع في دار محترمة ذات أبهة ورفاهية، زادت هالة لدى الأهالي، وكان يشرف عليه مبشر منهجي انجليزي (لم

يذكر الكاتب اسمه)، يتلقى شهريا مبلغ (10 آلاف فرنك، فضلا عن المبالغ المالية الإضافية المتغيرة، ومكنته هذه الميزانية من توفير الدواء والعلاج ، وتقديم العروض السينمائية مجانا للأهالي ، الأمر الذي جعلهم يبدون إعجابهم برئيس هذا المركز: >> لو كان مسيو ب... هو صاحب الأمر هنا، لكنا نسبح في رغد العيش وعضارته<<. كما كان المركز يملك أيضا وسائل الترفيه الحديثة الموجهة للفرنسيين، كملعب التنس وأجهزة المذياع والحاكي لسماع الموسيقى، استقطبت الإداريين الفرنسيين. وأدى ذلك إلى سمو منزلة مديره لدى السلطات الفرنسية التي صارت تشرفه بالمراتب العليا في الاستقبالات الرسمية. وكثيرا ما كان هذا المركز يستقبل القساوسة الأمريكان لإلقاء المحاضرات، مثلما حدث سنة 1927م، حين وضع

قائد الثكنة العسكرية كل الإمكانيات تحت تصرف
المبشر الأمريكي لإنجاح محاضراته، التي حضرها
جمهور غفير من الفرنسيين بمعيرة عائلاتهم، وكذا
الأهالي.

كان المبشرون المنهجيون الأمريكيان، يملكون أيضا
مركزا فاخرا في بلدة إيواضين (ولاية تيزيوزو)، يقيم
فيه مبشر، وعائلة محلية منتصرة. وله ميزانية قدرها
(60) ألف فرنك، يدفع منها للعون الأهلي مبلغ (12)
ألف فرنك، تدفع له بصرف الدولار، مقابل إعداد قاعة
العرض السينمائي، وتحضير لقاءات السمر مع
الأهالي، والتي كانت تنتهي بالصلاة والدعاء للدولة
الأمريكية " ذات الهيمنة والشفقة والسخاء ". وضايق
المبشرون المنهجيون كثيرا مركز أباء البيض ()
الكاثوليك) هناك، بنشاطهم وبشراء الأراضي المحيطة

به، وعجز هذا الأخير عن منافستهم لقلّة ذات اليد. وأكثر من ذلك فقد حاول المبشرون المنهجيون منافسة الآباء البيض في قرية ثاقمونت عزوز، حين حاولوا شراء أرض قرب مركزهم بسعر خيالي، لكن صاحب الأرض رفض بيعها لهم.

تجنيس المبشرين المنهجيين

التجأ المبشرون المنهجيون إلى حمل الجنسية الفرنسية، من أجل تلافي مضايقة الإدارة الفرنسية لهم، كما وظفوا أيضا لنفس الغرض، بعض الفرنسيين في مراكزهم، كمركز سيدي عيش الذي كانت تشرف عليه عائلة فرنسية، تحت نظر رجل سويسري، وساعدتهم هذه السياسة على تيسير أمر فتح المدارس الدينية الأمريكية. هذا وقد تعجب الكاتب الفرنسي روني فانلاند في مقاله، من أمر انطلاء الحيلة على الإدارة الفرنسية

قائلا: >> فبينما (نجد) قانون 1901م يمنع الآباء

البيض من فتح المدارس، نرى يا للعجب! إدارة المعارف تبيح فتحها لجماعة دينية أجنبية .<<

نقد المنهجين للاستعمار الفرنسي

جعل المبشرون المنهجيون الخاضعون لنفوذ أمريكا، من نقد فرنسا نقدا لاذعا في أوساط أهالي القبائل، وسيلتهم المفضلة للتقرب منهم، وهو الأمر الذي أقلق كاتب المقال، فأبدى امتعاضه من ذلك بقوله: >> ... إن جماعات المبشرين الأميركية لا تحرم نفسها من نقد حكومتنا وتفنيدها ، وإنقاص الصيت الفرنسي عند الأهالي، وفي ذلك معاكسة مدهشة مع سيرتها الظاهرية تجاه الولاية والحكومات المحلية. وعلى فرض أن هذا النشر ديني بحت، فإنه - والحالة تلك- لا يخلو من أن يكون وخيما لنا، فإن

مجرد لقب " رجال الله " الذي تحلى به هؤلاء المبشرون
يكسبهم وجاهة وتأهيلا عند الناس، يعود ذلك بالنفع
على أمريكا.<<. ثم أضاف بأن الجماعات الأمريكية
قد شاطرت الأهالي في سخطهم على الدولة الفرنسية
لنيل ثقتهم: <<... لان المتبادر للظن القوي أنها
لإحرازها على أمن وثقة وركون الأهالي إليها ، قد
اتخذت كيفية في السير والمجاملة معهم عجيبة
فتوصلت لذلك - مع صعوبة نيل تلك الثقة- بمشاركتها
لهم في تضجرهم وإسعاف شكاتهم، بل أحيانا توقظها،
وتحدث فيهم الضجر والقلق، كما تُظهر لهم أنها تأمل
معهم في قرب " تخلصهم " من " الأسر الفرنسي ". فهذه
صناعة منها لا تقبل بحال إذ أقل ما توجده هو تكوين
جماعات مداجين مبغضين للدولة ، ولا تلبث أن تخرج
لنا زعماء الفوضى والثورات.<<

مقارنة الكاتب بين الآباء البيض و المنهجين

ذكر كاتب المقال أيضا أنه خلافا للآباء البيض الكاثوليك، الذين يحترمون الإسلام على أساس أن جميع الأديان تدعو إلى الأخلاق الفاضلة، فإن المبشرين المنهجين لا يتورعون عن نقد العقيدة الإسلامية، على مسمع ومرأى المسلمين، وعن صدهم عن أداء واجباتهم الدينية، كإكراههم على الإفطار في شهر رمضان ، وتقديم الخمر والمأكولات المحرمة لهم. والأخطر من ذلك - في رأي الكاتب- أنهم عاجزون عن تقديم البديل الروحي، إذ كانوا يتركون الضمائر حائرة، لقمة سائغة للشهوات الحيوانية.

اقتراحات الكاتب روني فانلاند

اقترح كاتب المقال روني فانلاندر، على الدولة الفرنسية ، للحد من خطر المبشرين المنهجين عليها ، مجموعة من الاقتراحات يمكن أجمالها في النقاط التالية:

1 - تحذير الفرنسيين (إدارة ومجتمعاً مدنياً) من

خطورة الأعمال الخيرية للمنهجين ، الهادفة

إلى الاستيلاء على عقولهم.

2 - تنبيه إدارة التعليم إلى خطورة مدارس

المنهجين.

3 - عدم الترخيص لهم بإقامة المحاضرات.

4 - تشديد الشروط الخاصة ببيع الأراضي لهم.

5 - منعهم من مجال مداواة الأهالي وعلاجهم.

6 - تضيق الخناق على مطبوعاتهم.

تعليق مترجم المقال

ذكر الشخص الذي كلفه عبد الحميد بن باديس
بترجمة المقال، أن الكاتب الفرنسي روني فانلاندي، قد
أبدى سخطه على المبشرين المنهجين، ليس من باب
الدفاع عن الجزائريين المسلمين، وإنما خوفا من
التداعيات السياسية لنشاطهم على مستقبل فرنسا، ثم
أضاف قائلا: >> ونحن - معشر المسلمين - في (مع)
غضبه واشمئزازه من هذه الواجهة السياسية، ونزيد عليه
بالوجهة الدينية، فخشيتنا من تلك الأعمال أروع وأدهى
، فنحن نرى أن هؤلاء القساوسة قد تقاوم أمر تبشيرهم
وأخذ يستفحل، ونحن نيام لا نحاول بأدنى وسيلة
محاربه ولا على الأقل تحديده، وقد وجد بين ظهرانينا
مرتعا خصبا تحت الراية المثلثة! << . ثم أهاب
بالجزائريين إلى الإقبال على الأعمال الخيرية، ليس من
أجل دفع غائلة الجوع عن الفقراء، بل من أجل الدفاع

عن عقيدتهم الإسلامية، ليضيف قائلاً: >> فالواجب علينا- معشر المسلمين- أن نطرح التخاذل والتكاسل ، ونتحد جميعاً أمام هذا الخطر الأجنبي المراد منه محو ما نَعُدُّه أنفس شيء لدينا ألا وهو ديننا. وإن تمادينا - لا قدر الله- في هذا التخالف والتواكل وعدم الاكتراث بما يهمننا فوق كل مهم ، فاقراً علينا وعلى ديننا السلام.<<

المبشرون المنهجيون بين الأمس واليوم

فشل المبشرون المنهجيون بالأمس فشلاً ذريعاً، في جهودهم التنصيرية، إذ لم يتمكنوا من كسب إلا أفراداً قلائل يعدون على أطراف الأصابع، أما غالبية السكان فقد اكتفوا بالاستفادة من خدماتهم الاجتماعية، التي أقبلوا عليها بدافع الفقر والبؤس، وليس إلا. غير أن الأحوال قد تبدلت بين الأمس واليوم، فإذا كان التمسك

بالبهوية الإسلامية ورفض المواطنة الفرنسية والتجنيس أيام الاستعمار، كان شكلا من أشكال المقاومة والصمود أمام محاولات المسخ والفرنسة، فإن معطيات زمن الاستقلال قد تغيرت، بعد أن عجزت الدولة الجزائرية عن تكريس الحريات والمواطنة والعدالة الاجتماعية ورعاية الثقافة الأمازيغية.

وأمام تعطل الجهود الرامية إلى إحداث تغيير جذري في طبيعة النظام السياسي نحو الديمقراطية ودولة المؤسسات، أصبح الجزائريون يصبون جام غضبهم على السلطة القائمة، ودفعتهم الخيبة إلى تجذير مواقفهم الراضية للاستبداد السائد، فاعتنق بعضهم أفكارا متطرفة، جعلتهم يكفرون بكل ما يربطهم بوطنهم ، ويسعون بشتى الوسائل إلى إعلان مشاكتهم وتمايزهم عن النظام القائم الذي أساء إلى كل مكونات الهوية

الوطنية، حين وظفها لأغراض سياسية ضيقة، ولا شك أن ظاهرة التصير قد وجدت في هذه الخيبة العارمة تربة خصبة للظهور.

ذلكم هو ملخص هذا المقال المنشور سنة

1929م، في مجلة " نوتر ريف " الفرنسية، ومجلة الشهاب بالعربية، وأردت أن أعيده إلى الأذهان في هذا الزمن الصعب الذي يحاصرنا بأخطاره المتنوعة ، للعبرة والتدبر. فالتاريخ ليس حكايات للتسلي وهدر الوقت، إن الشعوب التي لا تقرأ التاريخ ولا تستفيد من عبره، هي شعوب ميتة محكوم عليها بـ "المركوبية" بمفهوم المفكر مولود قاسم، وبالقابلية للاستعمار حسب المفكر مالك بن نبي. فلو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس/ وضاعت من قبلها الحمراء، مثلما أشار الشاعر الكبير نزار قباني.

الهوامش:

- 1- محمد أرزقي فراد، أرفون تاريخ وثقافة ، دار الأمل، تيزي وزو، الطبعة 2، 2007، ص125.
- 2- الطوائف الأمريكية الرئيسية ، الموقع الإلكتروني:
[truth. Net]

كتاب " الاستعمار إبادة " جدير بالقراءة والتدريس

نشر المؤرخ الفرنسي olivier le cour
grandmaison أوليفي لوكور غرانميزون، كتاب:
الاستعمار إبادة exterminer coloniser

(سنة 2005). ونظرا لأهميته العلمية فقد قام المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، بنشر الترجمة العربية المنجزة بقلم السيدة نورة بوزيدة، ضمن المؤلفات التاريخية القيمة المنشورة في غضون سنة 2007م التي تصادف الذكرى الخامسة والأربعين لاسترجاع الاستقلال الوطني .

وتكمن أهميته في تحرر مؤلفه من الذهنية الكولونيالية، واطلاعه على وثائق ومصادر متنوعة في غاية الأهمية (نصوص تاريخية وسياسية واجتماعية وحقوقية وأدبية وفلسفية). ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا المؤرخ مختص في قضايا المواطنة في ظل الثورة الفرنسية، وقضايا التاريخ الاستعماري، فضلا عن إحاطته الشاملة لعلوم عدة، كالعلوم السياسية والتاريخ والقانون، كتب فيها كثيرا في أشكال متنوعة (مؤلفات،

ومقالات، ونشر مشترك، إشراف على نشر الكتب)
عالج فيها مواضيع مختلفة كالمواطنة في الثورة
الفرنسية، والدااتير الفرنسية ، والتربية والجمهورية،
وفكرة الدولة والمواطنة.

حظي تاريخ الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي
باهتمامه، فكتب عنه عدة مقالات منها :

- من أليكسي دي توكفيل الى تقتيل الجزائريين في
أكتوبر 1961م، نشر سنة 2001 م.
- نحن وحرب الجزائر ، 2002م .
- الحرب الاستعمارية : حرب شاملة، 2003م .
- فريدريك أنجلز - كارل ماركس : الاستعمار في
خدمة التاريخ ، 2003م.
- 17 أكتوبر جريمة الدولة في باريس، 2001.
- احتلال الجزائر : الحرب الشاملة، 2005 .

وهكذا فان الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه قد جاء تنويجا للأعمال المذكورة. و مكنته قناعاته العلمية من تأليفه بمنظور موضوعي، كاشفا بذلك جرائم الاستعمار الفرنسي التي فاقت كل التصور، إذ لم يكتف الجيش الفرنسي والحكومات الفرنسية المتعاقبة بإبادة الجزائريين فقط ، بل طالت جرائمهم حتى الأموات الذين نبشت قبورهم، ونقلت عظامهم الى مصنع بمدينة مرسيلية كمادة خام لصناعة الفحم الحيواني الضروري لتكرير صناعة السكر (!). وحسب المعلومات المستقاة من لدن الدكتور أرزقي شويتام (قسم التاريخ بجامعة الجزائر) فقد أفتى الأمير عبد القادر بتحريم تناول السكر الأبيض لعلاقته بهذا الفحم .

هذا ومن الطبيعي أن يثير هذا الكتاب قلقا في أوساط الطبقة السياسية الفرنسية، لأن كشف جرائم

أسلاف الفرنسيين لا يقل خطورة عن ارتكابها، إذ قدم أدلة تاريخية تجرّم الاستعمار الفرنسي، وبالتالي فالكتاب يعارض ويفند بالحجة الدامغة موقف تمجيد الاستعمار الفرنسي، المكرّس بموجب قانون 23 فيفري 2005م. وبقدر ما أثاره من هلع وقلق في فرنسا، فقد جاء دليلا علميا وبرهانا ساطعا في سياق وشهد شاهد من أهلها، للوطنيين الجزائريين الذين ينادون بضرورة تقديم الدولة الفرنسية، لاعتذار رسمي للدولة الجزائرية، كشرط لا بديل عنه لبناء علاقة ودية بين الشعبين الجزائري والفرنسي.

الحرب الشاملة

كشف المؤرخ أوليفي لو كور حقيقة الاستعمار الفرنسي حينما حدد خصائص الاحتلال بقوله: >>... فما هي خصائص الحرب في الجزائر؟ إنها كثيرة :

تقتيل المقاومين والمدنيين، حرق القرى وتدمير منهجي لكل مزارع البلاد وتجويع القبائل لإجبارها على النزوح والاستسلام، ترهيب السكان بتعذيبهم والتشويه والإعدام دون محاكمة، انتهاك المقابر وتدمير أماكن العبادة. إنها كلها خصائص لا تطلعنا على مناهج جيش إفريقيا فقط ، بل هي تتبئنا عن الطبيعة المتميزة لصراع جُندت من أجله إمكانات ضخمة لا تتناسب أبدا وقوة العدو، فكان تأثيرها عليه مهول وكارثي : إفقار كبير، مجاعات منظمة، أوبئة، القضاء على قبائل بأكملها، اعتقالات جماعية وقاتلة. كل تلك الممارسات أدت، على مدى عشرات السنين إلى تناقص مروّع في عدد السكان، طبقا لإجراءات وأهداف الاحتلال - ص 219- <<.

عنصرية الاحتلال الفرنسي وجور قانون الأهالي

وخلافا للقراءة الرسمية للدولة الفرنسية الممجة
لظاهرة الاستعمار، فقد أكد أوليفي لو كور الطبيعة
العنصرية و الإجرامية للاحتلال الفرنسي، وذكر في
هذا السياق أن الدولة الفرنسية قد ضربت بمبادئ ثورتها
- ذات التوجه الإنساني- عرض الحائط، إذ طبقت
في الجزائر سياسة عنصرية جعلت المعمّرين الفرنسيين
والأوروبيين مواطنين كاملي الحقوق، في حين أسقطت
الجزائريين إلى ما دون المواطنة، تحت رحمة الإدارة،
فصاروا فريسة لأهوال تعسف حكامها من خلال فرض
الضرائب الفادحة عليهم، ومصادرة أملاكهم والزج بهم
في غياهب السجون دون محاكمة. ولم يكتف
الاستعمار بذلك بل ألصق بهم كل الأوصاف الذميمة
التي خطرت على بال المستعمرين، فالمرأة الجزائرية-
برأي الفرنسي موباسان- مجرد " حيوان للمتعة الجنسية

" خارج الإطار الأخلاقي (!)، وأنها تمارس الخيانة الزوجية والدعارة، في حين يمارس الرجال " اللواط " (!). ومن صفاتهم الأخرى انعدام النظافة والنهب والسلب والخداع والجهل، فالجزائري - في نظر الفرنسيين - متوحش له حضارة وديانة سيئة، لذلك فهو عنصر غير مرغوب فيه : >> إن الأهلي الجزائري مضر على الدوام، ومن أجل هذا فإنه يعتبر حيوانا مفترسا - ص111- <<.

هذا وقد تم تقنين سياسة التعسف والعنصرية بموجب **قانون الأهالي** الصادر سنة 1881م في ظل حكم الجمهورية الثالثة. واللافت للانتباه أن المؤلف قد أشار إلى أن حكومة فيشي الفرنسية قد استلهمت سياستها العنصرية- التي عانى منها الشيوعيون الفرنسيون والجمهوريون الاسبان واليهود- من القانون

المذكور، وبعبارة أخرى فإن ما عاناه يهود فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية تحت حكم فيشي ، ما هو في حقيقة الأمر، إلا غيض من فيض، مما عاناه الجزائريون زمن الاحتلال الفرنسي الطويل. كما القانون المذكور، مرجعية للدولة الفرنسية استمدت منه عدة قوانين جائزة طبقتها على شعوب مستعمراتها في الهند الصينية، وإفريقيا الغربية، وكاليدونيا الجديدة .

تحالف الساسة والعسكر والمثقفين لإبادة الشعب

الجزائري

كان الرأي العام السائد في فرنسا والقارة الأوروبية، يعتبر ظاهرة الاستعمار أداة ايجابية في يد الرجل الأبيض، من أجل محاربة التوحش ونشر الحضارة في العالم، لذا فإن " سياسة الإبادة" التي مارسها الجيش الفرنسي قد سكت عنها المتعلمون - الذين كانوا

يصنعون الرأي العام عبر الصحافة ويدافعون عن القيم الإنسانية - واعتبروها بمثابة " شر لا بد منه ". وفي هذا السياق هل كل من كارل ماركس، و رفيقه فريدريك إنجلز، لاحتلال الجزائر، كما رحّب هذا الأخير بانهزام الأمير عبد القادر الذي كان- في رأيه- يدافع عن نظام سياسي واقتصادي محكوم عليه بالزوال. ورغم معارضة فريدريك إنجلز للنظام الرأسمالي المبني على الاستغلال، فقد فضله على ما سماه بـ " النظام الملاحضاري " القائم في الجزائر، وعبر عن ذلك بقوله : >> على أي حال، فإنني أفضل النظام البرجوازي العصري لأنه مهما كان (فهو) يمثل الحضارة والصناعة والنظام والأنوار، على أسياد الإقطاع أو قطاع الطرق والنظام الملاحضاري الذي ينتمون إليه- ص49 -<<. وبذلك لم يعد هناك رادع أخلاقي أو

ضغط سياسي خارجي، يحول دون تماذي الاستعمار الفرنسي في ارتكاب الجرائم، وتقتيل الجزائريين بطرائق بشعة ، يندى لها الجبين ويشيب لهولها الولدان كما يقال.

وبالنسبة لفئة المتعلمين الفرنسيين فقد هللوا لاحتلال الجزائر، ف " إيكسي طوكفيل " المعروف بإعجابه بالديمقراطية الأمريكية، قد وضع قيم الثورة الفرنسية والقيم الديمقراطية التي كان يتبجح بها وراء ظهره، إذ لم يتوان عن تبرير جرائم الفرنسيين في جزائر، وتغاضيه عنها باعتبارها شرا لا يبد منه : >> غالبا ما سمعت رجالا أحترمهم، ولكن لا أتفق معهم، يقولون إنه ليس من الأخلاق حرق المحاصيل والمخازن أو الهجوم على رجال ونساء وأطفال عزل- ص 127->>. وأكثر من ذلك فقد دعا إلى تخريب ممتلكات الجزائريين لإرغامهم

على الاستسلام، فحالة الحرب في رأيه: >> تعطينا
حق تخريب البلاد بأن نحرق المحاصيل في وقت
الحصاد، وأن نقوم بغارات مفاجئة لنختطف الرجال
والأغنام - ص 127 -<<.

أما الشاعر لامارتين فقد اعتبر الاستعمار ظاهرة
إيجابية، تساعد في حل مشاكل فرنسا الاجتماعية بما
توفره من الأراضي والخيرات للفرنسيين، وقد نوّه به
وهو نائب في البرلمان حين قال: >>... نعم إن
الاستعمار ينمي الحياة ويضاعف سرعة الحركة
الاجتماعية، وهو يحمي الكيان السياسي من ركود قاتل
ومن انفجار طاقة اجتماعية غير مستعملة- ص 13-
<<. وكان يردد بحماسة عبارته المشهورة >> لن
نتخلى أبدا عن الجزائر!<<.

أما الشاعر **فيكتور هيجو** فقد اعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر: >> مسيرة الحضارة وتقهقر الوحشية. إنه لقاء شعب متنوّر بشعب يعيش في الظلام . إننا إغريق العالم ونحن الذين ننير دربه- ص 123 -<<. لذلك فمن الطبيعي أن يهمل لتعيين السفاح **بيجو** ، حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر 1840م، ويعتبر سياسته الدموية دفعا جديدا لفرنسا الأنوار والثورة.

مجازر ومحارق منظمة

لم تكن المجازر والمحارق تصرفات معزولة ناجمة عن نزوات بعض الجنود، بل كانت أعمالا منظمة ومخططة من لدن القيادة، تولى الجيش تنفيذها بدقة متناهية، و مستلهمة من سياسة الإبادة التي مارسها الرجل الأبيض في أمريكا ضد الهنود الحمر، وفي قارة أسترالية ضد شعب **الأبوريجين**، علما أن فلسفة الإبادة

مبنية على اعتبار كل سكان الجزائر مقاتلين وممتلكاتهم
معسكرات.

فعلى اثر انتشار خبر المحرقة التي ارتكبها العقيد
بيليسيه في جبال الظهر، عقد نواب فرنسا جلسة
خاصة بتاريخ 11 جويلية 1845م، للنظر في هذه
الجريمة. وفي الحقيقة كانت هذه الجلسة جعجة بدون
طحين، هدفها ذر الرماد في العيون، وتجراً فيها وزير
الحرب الماريشال سولت على إعلان مسانדתه للعقيد
بيليسيه المجرم، وسانده أيضا الجنرال بيجو الذي هدّد
بتقديم الاستقالة في حالة عقابه. واستخلص المؤلف
أوليفي لوكور من ذلك أن العقيد بليسي لم يبادر من
تلقاء نفسه بارتكاب محرقة الظهر ، كما اعتبر هذا
الموقف بمثابة تشجيع الجيش الفرنسي على مواصلة
ارتكاب المزيد من المحارق. وبالفعل فقد ارتكب سانت

أرنو محرقة أخرى بتاريخ 9 أوت 1845م، أباد فيها
قبيلة كاملة بإضرام النار في مدخل المغارة التي التجأ
إليها أهلها، وقد روى ملخصا عنها في رسالة لأخيه
قائلا: >> أحكمت غلق كل المنافذ وجعلت من ذلك
المكان مقبرة لخمسمائة لص ومتطرف لن يذبحوا
الفرنسيين بعدها. لم ينزل أحد في تلك الكهوف، ولا أحد
غيري يعلم ذلك. - ص 180- << وخلص المؤلف إلى
القول في شأن المحارق : >> إنها ليست وليدة العدم
أو الفوضى، بل كانت مبرمجة ومنظمة باهتمام،
وبعقلنة الوسائل التي لا تترك مجالا للصدفة أو
الارتجال. إنها مجازر حديثة، بما تحملها الكلمة من دقة
في التحضير وعقلانية في الوسائل، مما لا يترك مجالا
لتصرفات شخصية، غير منتظمة وغير لائقة قد تعطل
فعاليتها وتحبط أهدافها. - ص 179- <<. ثم أضاف

قائلا: >> ... إن المحرقة خاضعة للانضباط ولضرورة استعمال الوسائل الممنوحة من أجل بلوغ الأهداف الموضوعية، فهي تنفذ أوامر نظامية، أي نظام جيش يخضع بدوره لنظام حكم سياسي. ص-179->>.

أما الأستاذ ل. مول **L . Moll** - الذي كتب كتابا ضخما حول الاحتلال والزراعة في الجزائر، وصاحب العضوية في المجمع الملكي - فقد أدرج احتلال الجزائر ضمن: >>... الصراع الذي يدور بين بني البشر والحيوان على سطح الأرض منذ العصور الأولى، ويقول إن ل جنس غير كفاء للحضارة ، يجب أن يندثر بالضرورة كما اختفت حيوانات ما قبل الطوفان- ص 144->>. ثم تهادى في احتقاره للجزائريين، واعتبر إبادتهم على طريقة الهنود الحمر:

>> ليس ذلك جريمة، بل خدمة للإنسانية بأن

نخلصها من أعراق تعرقل الأجناس السامية (الراقية)
التي انطلقت بقوة لتحضر العالم. - ص 146- <<

الخلاصة

وفي الأخير فانه ليس من باب المبالغة إن
اعتبرتُ هذا الكتاب في غاية الأهمية، باعتباره نافذة
تاريخية، نطل من خلالها على جرائم الاستعمار
الفرنسي، بأقلام فرنسية، جمع المؤرخ أوليفي لو كور
غرانيزون مقالاتها وكتبها العديدة، التي حلها
بموضوعية لا يختلف اثنان عاقلان في نزاهتها
وعلميتها.

وبعد قراءة متأنية للكتاب فإننا نستخلص دون
كبير عناء ، أن " الشر " قد تجسد في الاستعمار ، الذي
أنجب الاستعمار والإبادة. وما من شك أنه سيبقى
صفحة سوداء تعكر العلاقات بين الشعبين الفرنسي

والجزائري، إلى أن تعترف الدولة الفرنسية بهذه الحقيقة التاريخية المرة ، يليها تقديم اعتذار رسمي للدولة الجزائرية، سيكون بمثابة جسر نحو بناء علاقة جديدة بين الدولتين، يتم فيها تخصيص المستقبل بالسلم والأخوة الإنسانية، وحسن الجوار وترقية مصالح البلدين.

وقفة مع كتاب **L'Algérie Kabylisée**

أصدر المؤلف **JEAN MORIZOT** كتاب

L'Algérie Kabylisée⁽¹⁾ قبل وقف إطلاق النار

يوم 18 مارس 1962 بأيام قليلة، ويندرج ضمن
الكتابات الكولونيلية التي كانت تهدف إلى فرنسة
الجزائر إلى الأبد، وعليه فإن الهدف من هذه الدراسة
السوسيولوجية هو معرفة دواخل المجتمع القبائلي بعمق
قصد إحكام القبضة عليه أكثر، وهكذا يتجلى بوضوح
أن ما أنجزه الفرنسيون من دراسات أنتروبولوجية حول
منطقة القبائل بصفة خاصة لم يكن لوجه العلم
والمعرفة، أو لسواد عيون الأهالي كما صار بعضنا
يعتقد اليوم -مع الأسف- ولاشك أن الإستراتيجية
الكولونيلية كانت مقنعة الأمر الذي حجب حقيقتها عن
العوام بصفة خاصة. وقد تجلت بوضوح " موارد
الاستعمار " في كلمة "التصدير" التي وضعها Pierre
Rondot للكتاب جاء فيها بأن المؤلف كان مدفوعا
عندما ألف كتابه بحب القبائل الذين خدمهم لسنوات

طويلة أثناء تواجده في الإدارة، كما أنه يهدف أيضا إلى إنارة سبل التنمية التي يفتحها التعاون التقني (!).

أما المؤلف فقد حاول امتصاص غضب

الجزائريين حينما ذكر في مقدمة الكتاب أن اندلاع

الحرب في الجزائر ناجم عن أخطاء النظام الفرنسي

وقصر النظر لدى رجالات الدولة، الأمر الذي أدى -

برأيه- إلى انهيار الثقة بين الفرنسيين والمسلمين. أما

الحل الذي يقترحه لإيقاف الحرب، فهو يمر حتما عن

طريق وضع حد لتدخل العالمين الشيوعي والعربي في

شؤون الجزائر وكذا توقيف التمويل الدولي للثورة، وبذلك

يهزم الآفان وتحرر الجماهير من رعبه، ويعود الأمن،

كل ذلك سيفتح الطريق أمام الحل الذي تريده فرنسا. إنه

فرنسة الجزائر إلى الأبد، فهو يسمح (بتأطير السكان

البدائيين والأخذ بأيديهم لترقيتهم بالتدرج) وهكذا يبشرنا

المؤلف بأن الاستعمار ظاهرة إيجابية حملت لنا نحن
الأهالي الحل الأمثل (!). ومهما يكن من أمر فإن
تركيز الدراسة على منطقة القبائل في ذلك الظرف
العصيب يعد نفخا في نار سياسة "فرق تسد" التي
اصطدمت بالجدار الوطني الصلد.

ومما يؤكد "سوء النية" المبيّنة أن المؤلف قد تحدث
عن البعد الأمازيغي في المغرب الكبير بطريقة توحى
بتنافره مع البعد العربي، ويتجلى ذلك بوضوح في سياق
حديثه عن البرنوس الذي لم يكتف بنسبه للأمازيغ بل
أصر على نفي نسبه للعرب (...خلافا للتصور العام
الذي يحدد هوية البرنوس بالبينولة (PENULA)
الرومانية، فإنه غير عربي لكنه أمازيغي، ص 13) كما
ركز المؤلف على ذكر النعرات العرقية في الفصل
الأول، فبعد أن ذكر بأن المغاربي يشعر بالغرابة أثناء

الحج بسبب تمايزه عن المشرق في المأكل والملبس والتعبير والتفكير ، أسهب في تفكيك سكان مدينة الجزائر إلى ست مجموعات دخيلة على المدينة يطلق عليها اسم "البراني" وهي: البساكرة وأهل لغواط والزنج والميزابيون والمزيتيون (القبائل الصغرى) والقبائل (الزواوية) وذكر أن هذه الفئة الأخيرة كانت مفضلة عند القنصل الأمريكي وقد سار على نهجه الفرنسيون الذين استأنسوا بالخدمات المقدمة من طرف سكان القبائل. وإمعانا في إثارة النزعة العرقية بين الجزائريين ذكر المؤلف قائلا: (...إن كره "العربي" للمهاجر القبائلي واضح، وخير مثال على ذلك ما رواه Fromentin الذي حل بمدينة الجزائر منذ قرن، مفاده أن البرجوازي صانع الجلد سي حاج عبد الله كان يكره ويحتقر كل من هو قبائلي أو يهودي، ويستعمل الاسمين يهودي

وقبائلي للسب والشتيم، قبايلي بن قبايلي. إنها
المصطلحات الوحيدة والعنيفة التي تجرأ على استعمالها
بحضوري بتركيز شديد الأمر الذي يوحي بأنها تعني
الكلب ابن الكلب، ص 60) وعلق المؤلف Jean
Morizot على ذلك بقوله بأنه لم يلاحظ منذ هذا
الموقف الصادر من سي حاج عبد الله في ظل
الامبراطورية الثانية أي تغير في الشعور إزاء "القبائلي".
ومما يلفت الانتباه في هذا الكتاب الكولونيالي أنه في
الوقت الذي سعى فيه إلى تكريس النفور بين "العربي"
و"القبائلي" أكد التقارب بين "القبائلي" و"اليهودي" من
خلال تعاطي نفس المهن كبيع المعادن الثمينة
وممارسة النشاطات الممنوعة بحكم الشريعة الإسلامية.
وقد حاول تفسير ذلك بإرجاع النسب "القبائلي" إلى
الأصل اليهودي (!) مستشهدا في ذلك بالرواية التي

تزعّم بأن سكان بني يني ينحدرون من أصل يهودي !
(ص60).

أما عن أصل مصطلح "بلاد القبائل" La
"Kabylie" فهو يرجح اشتقاقه من كلمة "القبيلة"
العربية، ولا يحمل مدلولاً عرقياً، بل كان يقصد به
سكان الأرياف، وقد استعمله في هذا المعنى سكان مدن
قسنطينة وعنابة والجزائر الذين أطلقوه على سكان
الجبال القريبة من مدنهم، وبالنظر إلى توافد سكان
جرجرة بكثرة إلى مدينة الجزائر بحكم قربهم منها، فقد
صار مصطلح القبائلي لصيقاً بهم منذ عهد الأتراك وقد
أكد ذلك الكاتب الإسباني "دييغو دي هايدو DIEGO
DE HAEDO" في كتابه "الحياة في الجزائر في
سنوات 1600 (ص51). ومما تجدر الإشارة إليه أن
هذا المصطلح لم يكن متداولاً في منطقة جرجرة التي

تحمل اسما محليا ذكره ابن خلدون وغيره من المؤرخين وهو اسم "الزواوة" المشتق من اسم "إقاواون" الذي يحمله أحد أعراش منطقة جرجرة، هذا وقد دأب المؤرخون على استعمال المصطلحين معا (القبائلي والزواوة) في كثير من الأحيان. إن ما يلفت الانتباه في الغرب الجزائري، تداولهم لاسم الزواوة وهو الأصل كما ذكرنا لأسباب مازالت مجهولة قد تفسر بضعف تأثير الأتراك العثمانيين المروجين لتسمية "القبائل" في حياتهم

الاجتماعية. ثم استعرض المؤلف

JEAN

MORIZOT مراحل تطور هذا المصطلح في عهد

الفرنسيين الذي عرف ثلاث مراحل أولاها مرحلة

استعمال تسمية "Kabylie Indépendante" وثانيها

باسم "Kabylie proprement dite" وآخرها تمت

على يد الضابط الكاتب الجنرال

HANOTEAU

الذي أسس مصطلح "Kabylie" بدون نعت وبحرف
"y" بدل حرف "i" حينما ألف كتابه المشهور في
الستينيات من القرن 19 بعنوان La Kabylie et les
. coutumes Kabyle

ولعل أهم فائدة نستخلصها من هذا الكتاب اعتراف
المؤلف بتجانس منطقة القبائل اجتماعيا ولغويا. ورغم
ذلك فقد قسمها الاستعمار الفرنسي إلى "القبائل الكبرى"
(غرب جرجرة)، والقبائل الصغرى (شرق جرجرة) ولم
يكتف الفرنسيون بذلك، بل قسموا الأولى إلى "قبائل
عليا" و "قبائل سفلى" والثانية إلى قسمين أيضا
"الصومام" و "قرقور". غير أن ما لم يذكره المؤلف، أن
هذا التقسيم والتفتيت قد تم في إطار سياسة "فرق تسد"
الاستعمارية. ونتيجة لضمور دور النخب و
الأنتلجانشية في مجتمعنا فإن مثل هذه السموم

الإستدمارية مازالت معششة في أذهان الكثير منا إلى درجة أن صار بعض المبهورين من قومنا يعبرون عن حنينهم إلى ظاهرة الاستعمار إن بالكتابة الروائية أو بالإنتاج السينمائي، خاصة وأن فرنسا الماضية في تمجيد جرائمها الاستعمارية تغدق بالمال الوافر على من يحلب في إنائها، حتى صارت جوائزها الثقافية المخصصة لبني جلدتنا تتم على أساس "مأرب لا حفاوة" وليس إلا.

وفي الوقت الذي كرست فيه إدارة الاحتلال الفرنسي سياسيا مصطلحي "القبائل الكبرى والقبائل الصغرى" التجأت من جهة أخرى إلى "مسخ" التسمية الأصلية (الزواوة) بإطلاقها على فرقة عسكرية فرنسية خاصة بالمرتزقة الأهالي (أمازيغ-عرب-أتراك) وهي فرقة من فرق المشاة، صارت بمر الأيام رأس الحربة

في الجيوش الفرنسية، ولعل المفارقة العجيبة في هذا
المسخ أن صارت هذه الفرقة ذات الاسم الجزائري
ممنوعة على الجزائريين والمغاربة كافة، لتصبح وقفا
على المسيحيين من أصول أوروبية (!) وعلى اليهود
الجزائر (!)(ص36).

كما اعترف الكاتب أن الاستعمار الفرنسي قد
أسال حبرا كثيرا في موضوع التنديد بالحكم العثماني في
الجزائر وفي كشف مثالبه ومظالمه. وتعجب كيف
يستقبل الزواوة الداوي حسن خوجة المخلوع سنة 1702
بالأحضان في عقر دارهم وقد دأب الأتراك العثمانيون
على قمعهم ؟ إن ما أغفله المؤلف
JEAN MORIZOT هو قوة الرابطة الدينية التي تربط الزواوة
بالأتراك العثمانيين وبغيرهم من إخوانهم، ومن أبرز

مظاهر هذه الرابطة هي الجهاد البحري ضد أطماع أوروبا المسيحية في أرض الإسلام.

وبعد أن ذرف المؤلف دموع التماسيح على سكان القبائل الذين أفنى عمره في خدمتهم (!) والذين تحبهم فرنسا فدأبت على التكفل بانشغالاتهم (!) استبدل هذه المخاتلة بخبث من نوع آخر ، حينما ذكر في صفحة 48، أن فرنسا قد حققت السلم في الجزائر بتركيح سكان القبائل إلى الأبد عقب فشل ثورة 1871، لكنه تأسف على قيام ثورة 1954 التي ستمكنهم من بسط سيطرتهم على الجزائر كافة (!).

إنها محاولة لزرع الفرقة بين الإخوة، ولتهويل أمر مكيدته هذه اختار عنوانا عرقيا لكتابه (L'Algérie Kabylisée) من أجل زرع الفرقة في

صفوف الثورة، ولا شك أن انتصارها قد أكد له أن جهود هذا الكتاب الكولونيالي قد ذهبت أدراج الرياح. هذا غييض من فييض مما يجب أن يقال عن الكتاب، ولا يسعني في الأخير إلى أن أقدم جزيل الشكر للجمعية الجاحظية التي مكنتنا بإعادة طبعه من الإطلاع على جانب آخر من الفكر الكولونيالي، علما بأن هذه الوقفة لا تغني عن قراءة كاملة للكتاب.

الهامش :

L'Algérie Kabylisée
Point de vue d'un colonialiste JEAN
MORIZOT
Editions Aljahidhiya 2001

هل يتكرر تمجيد الاستعمار عبر جبة ألبير كامي؟

أثارت قافلة الأديب ألبير كامي المزمع تنظيمها في شهر أفريل القادم بين فرنسا والجزائر، جدلا في أوساط المثقفين الجزائريين، بحكم خلفيتها السياسية في هذا الوقت المتميز بالتجاذب بين الجزائر وفرنسا، حول موضوع الاستعمار الفرنسي وضرورة تجريمه، ومن ثم

تقديم الدولة الفرنسية اعتذارها للشعب الجزائري عما
اقترفته من جرائم في حق الجزائر وشعبها.

التوظيف السياسي لألبير كامى

وكان من المفروض أن يظل النقاش حول إبداعات
ألبير كامى الأدبية والفلسفية، محصورا بين الباحثين
المتخصصين في مجالي الأدب والفلسفة- علما أنه
ليس هناك من يدعو إلى إقصائه كأديب وفيلسوف -
لكن توظيف هذه الشخصية توظيفا سياسيا، أدى إلى
إخراج ذكر الرجل من الحرم الجامعي والكتابة النقدية
المتخصصة، إلى الشارع بطريقة اشهارية براقعة دون
غيره من المبدعين الفرنسيين، دفع المثقفين المعارضين
لقافلة كامى - وأنا منهم- إلى استخلاص الرسالة
السياسية المراد إشاعتها بين الرأي العام ، مفادها أن
الأديب الفرنسي الكبير ألبير كامى، جزائري جغرافيا

وتاريخيا وإبداعيا، رغم إعلانه صراحة معاداته للجزائر المسلمة. وما دام هذا الطرح مشرّب بمسحة سياسية هادفة إلى منحه المواطنة الجزائرية التي لم يؤمن بها خارج إطار "الجزائر فرنسية"، فإنه من حق جميع المثقفين أن يدلّوا بأرائهم حول هذه الرؤية السياسية لشخصية ألبير كامو. وإنه لمن السذاجة أن نلتزم الصمت بعد هذه

"الخرجة" السياسية الغربية، المتحدية لقيم نوفمبر على مرأى ومسمع صنّاع ملحمة نوفمبر، كما أنه من الغفلة أيضا أن نصدق أن الإبداع الأدبي مفصول عن المجتمع، وأنه للمتعة الفكرية فقط. وعلى أي حال أفضل أن أتهم بسوء فهم إبداعات ألبير كامو، على أن أسيء إلى ذاكرة الشهداء، خاصة ونحن مقبلون بعد

وقت قصير (2012) على الاحتفال بالذكرى الخمسين
لاسترجاع السيادة الوطنية.

منطق أنصار القافلة

حاول أنصار قافلة ألبير كامى إقناع الرأي العام، أن
الأمر لا يعدو أن يكون نشاطا علميا وفكريا، لا يحمل
شحنة سياسية معينة، لذا يجب أن يبقى أمرها في نطاق
المتعة الأدبية ونظرية الفن من أجل الفن، بمنأى عن
السياسة والدين. وأكثر من ذلك فهم يرون أن ألبير
كامى لم يسيء إلى الجزائر بل دعا إلى تجاوز العرقية،
وتكريس- بدلا عنها- المواطنة كإطار لتعايش العرب
والفرنسيين في إطار نظام كونفيدرالى تشرف عليه
فرنسا. كما عاب بعض أنصار هذا التيار على محمد
الشريف ساحلي، ومصطفى لشرف تصنيفهما لهذا
الكاتب في دائرة الكتابات الكولونيالية.

عريضة لرفض قافلة كامبي

وبمجرد ما أذيع مشروع القافلة، ظهر رأي معارض لها، سرعان ما تحول إلى جبهة استتهضت الهمم للتصدي لقافلة كامبي التي يبدو أنها تحمل في جبتها فكرة تمجيد الاستعمار بطريقة ما. وظهرت هذه مبادرة التصدي على أيدي مصطفى ماضي، ومحمد بوحميدي، وعمار شعلال، وسامية زنادي، ثم سرعان ما احتضنتها

شخصيات بارزة تجمع بين البعدين الثقافي والسياسي، ومتقفين ومواطنين، بعد أن أدرك الجميع أن الغاية قد تجاوزت المتعة الأدبية، لتصبح توظيفاً سياسياً غايتها إعادة الاعتبار السياسي لألبير كامو، الذي سبق له أثناء الثورة التحريرية، أن اختار أمه فرنسا على حساب عدالة القضية الجزائرية. ونجد في طليعة الموقعين على

عريضة التصدي ،علي هارون، ومبروك بلحسين،
ومصطفى تومي، وعبد المجيد عزي
- وهم من هم- وعددا آخر من الكتاب الجامعيين
الذين يحسنون الكتابة باللغتين العربية والفرنسية.

موقف المثقفين الجزائريين من كامبي

ولعله من المفيد أن نستأنس في هذا السجال بموقف
المثقفين الجزائريين الكبار إزاء الكاتب الفرنسي ألبير
كامبي، وحسب علمي فقد انتقده محمد الشريف ساحلي
، ومصطفى لشرف، وأحمد طالب الإبراهيمي، وجان
الموهوب عمروش، ومالك حداد، وكاتب ياسين ومولود
فرعون، ومولود معمري، والطاهر جاووت، لعدم إدانته
للاستعمار الفرنسي، ولعدم دعمه للقضية الجزائرية
العادلة، علما أنه كان قد أدان الاحتلال النازي لفرنسا

خلال الحرب العالمية الثانية، وأمن بشرعية عنف
المقاومة الفرنسية ضد النازية، التي شارك فيها.
وبتاريخ 27 ماي 1951، أرسل الكاتب مولود
فرعون رسالة إلى الكاتب ألبير كامي، من قرية ثاوريرث
(ولاية تيزي وزو) حيث كان مدرسا، جاء فيها قوله:
>> لقد قرأت " الطاعون" ويبدو لي أنني فهمت كتابكم
فهما جيدا. لقد تأسفت لعدم تخصيصكم ولو شخصية
واحدة للأهالي رغم تعدد شخوص الرواية، ولاختزالكم
لمدينة وهران في الإدارة الفرنسية فقط.<< ثم أضاف
قائلا:>> ليس هذا عتابا، ولكني قلت مع نفسي، لو لم
تكن هذه الهوة الفاصلة بيننا قائمة، لعرفتمونا معرفة
جيدة، تمكنكم من التحدث عنا بخير، كما تفعلون مع
الآخرين. وآسف من أعماق قلبي على أنكم لا تعرفوننا

حق المعرفة، وعلى افتقارنا إلى مَنْ يقدر على معرفتنا،
ويأخذ بيدنا لنعرف أنفسنا أكثر.>>

الجزائر في تصور ألبير كامى

كان ألبير كامى يؤمن بجزائر الاستعمار (من
الرومان إلى الاحتلال الفرنسي)، ولا يتصور مستقبل
الجزائر إلا في إطار الحضارة الفرنسية، وعليه فقد كان
يعارض الحركة الوطنية الجزائرية الداعية إلى التحرر
من الهيمنة الفرنسية، والعودة إلى إطار الحضارة
العربية الإسلامية، وينكر عليها ربط مصير الجزائر
بالعالم العربي، بحجة أن تركيبة السكان في الجزائر
عديدة، تشمل العرب والأمازيغ والأتراك
واليهود، والفرنسيين. وكتب ذات يوم موضحاً أن

مصطلح "الجزائري" خاص بالعناصر الأوروبية، أما العرب والأمازيغ فهم مدرجون ضمن مصطلح "المسلم". وعليه فإن إصرار أنصار قافلته على منحه الجنسية الجزائرية المسلمة، هو خرق لإرادته الحرة التي جعلته يختار أمّه فرنسا.

ومن أخطائه القائلة أنه سوى بين بطش الجلاذ ودفاع الضحية، حين وضع عنف الاستعمار الفرنسي المعتدي على الجزائر، و عنف المدافعين عن كرامتهم وسيادة أرضهم في كفة واحدة، ثم اعتبر الثورة الجزائرية إرهابا من صنع الامبريالية العربية التي تقودها مصر الناصرية. والجدير بالذكر أنه غادر مجلة الاكسبريس سنة 1957، بعد أن غيرت خطها السياسي، فأصبح مؤيدا لاستقلال الجزائر.

ألبير كامى ويؤس القبائل

كتب ألبير كامى سلسلة من المقالات عن بؤس بلاد القبائل، ما بين 5 جوان و 15 جوان 1939 ، نشرها في جريدة [Alger républicain] ، ثم قامت مؤسسة زيرام للنشر ببجاية بإصدارها في كتاب سنة 2005م. وصحيح أن ما ورد فيها من حقائق هو جزء من تاريخنا يستحق النشر باعتباره كاشفا للأوضاع المزرية التي كان يعيشها الجزائريون في ظل الاحتلال الفرنسي، وصحيح أيضا أنه تحدث بأمانة عن هذا البؤس، حين قال >> ليس أشد وقعا على المرء من أن يرى ذلك البؤس في أحضان أجمل بلد في العالم... ولن تجدي عبارات الحب والإحسان التي يتشدد بها الفرنسيون، فما يحتاجه البائسون هو الخبز والقمح ويد تمتد إليهم تمد لهم مساعدات ملموسة، وما عدا ذلك فهو نظري ومثالي.<<. لكن الكاتب ألبير كامى اكتفى بوصف

هذا البؤس الرهيب، ولم يربطه بالاستعمار الذي مارس سياسة الأرض المحروقة على أجدادنا لإرغامهم على الاستسلام، وصادر أراضيهم وممتلكاتهم، وحصرهم في الجبال الفقيرة، مع منعهم من استغلال الغابات والرعي فيها. وبدل إدانة ظاهرة الاستعمار باعتبارها آلية مكرسة للعبودية في العالم، راح الكاتب يبرر بؤس بلاد القبائل بعوامل طبيعية واجتماعية واقتصادية، كفقر التربة التي لا تنتج الحبوب، وكثافة السكان، وغلق أبواب الهجرة نحو فرنسا بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929، التي قلصت مناصب الشغل، بالإضافة إلى ارتفاع سعر القمح، مقابل انهيار أسعار محصولي التين المجفف وزيت الزيتون، اللذين تنتجهما بلاد القبائل.

هذا ومما لاشك فيه أن الهدف من نشر مقالاته حول بؤس القبائل، هو لفت أنظار فرنسا إلى وجوب تغيير سياستها الفاسدة التي خلقت الفجوة بين فرنسا المستعمرة والجزائر المستعمرة، من أجل سحب البساط من تحت أقدام الحركة الوطنية الجزائرية المؤمنة باستقلال الجزائر. ولعل تذكير الكاتب في مقاله الأخيرة المؤرخة بتاريخ 15 جوان 1939م، والتي جاء فيها قوله: >> نقد السلوك السيئ للفرنسي، أفضل من فضح بؤس بلد فرنسي . << لأهمّ دليل على دفاعه المستميت عن الاستعمار الفرنسي، وحجة دامغة على إيمانه بالجزائر الفرنسية. ثم أكد ذلك أثناء الثورة التحريرية، عندما صرح أن السؤال المحوري في رأيه هو: متى تصير الجزائر فرنسية، وليس متى سترجع جزائرية؟ إنه كاتب بارع في الدفاع عن ظاهرة

الاستعمار، مثلما أكد المفكر العربي الكبير إدوارد
السعيد.

فرانسييس جانسون أمانة في أعناقنا

وبدل التفكير في تكريم ألبير كامي الذي انحاز إلى
أمه فرنسا على حساب عدالة القضية الجزائرية، يجب
أن يصب التفكير حول مشروع تكريم المثقفين الفرنسيين
الذين وقفوا بحزم وعزم مع الثورة الجزائرية، أمثال
فرانسييس جانسون، وجان سيناك، وموريس أودان، وجان
بول سارتر، وفرانسوا ماسبيرو، وأندري ماندوز، وروبير
دافيزي، وفرانز فانون، وغيرهم. وليس من الشهامة أن
تنسى الدولة الجزائرية هؤلاء الأصدقاء الذين ساعدوا
شعبها، وقت الشدة لاسترجاع السيادة الوطنية
المغتصبة. وفي حالة استمرار عزوفنا عن رد الجميل

لهؤلاء الأحرار، وإقبالنا على تكريم أمثال البير كامي
الفرنسي قلبا وقالبا - لا قدر الله - سنتزل علينا لعنة
التاريخ، ولن تكفي مياه المحيطات لغسلها ومحوها
مستقبلا.

تعقيبات

الدكتور محمد أرزقي فراد إنساناً وباحثاً

عبد الرحمن عزوق

رئيس فرع اتحاد الكتاب لولاية تيبازة

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، السادة العلماء والباحثون الأجلاء، السادة الحضور، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:

هذه المداخلة تنقسم إلى قسمين: الأول الدكتور فراد إنساناً، والثاني الدكتور فراد باحثاً.

1- الدكتور فراد إنساناً:

أول لقائي مع الأستاذ محمد أرزقي فراد كان في بداية سبتمبر 1980م بثنائية بواسماعيل (ولاية تيبازة) التي أمضى فيها جزءاً من حياته المهنية. ولما أصبح ناظرًا لهذه الثنائية كان أول عمل قام به هو إنشاء مكتبة خاصة بالثنائية التي تم فتحها حديثاً في ذلك

الوقت، وفي وقت وجيز أصبحت غنية بأمهات المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي يُكثر من الرجوع إليها، هو وزملاؤه الأساتذة والطلبة.

كان الأستاذ فراد دؤوبًا على المطالعة، ولم يكن عمّله اليومي في ميدان البحث ليقلّ عن عدّة ساعات يوميًا على مدار السنة، ولم يكن يبخلُ بعلمه على أحد، فإن سألته أحد في مسألة في تخصصه أجابه عنها بما وسعَ علمه، ومثل ذلك يقال عن خزانة كتبه. ومن سجاياه المحمودة أنه كان يأخذ بيد الطلبة ويشجّعهم ويؤليهم كثيرًا من عطفه وعلمه، وله في ذلك فضلٌ على طائفة كبيرة منهم.

ومن عاداته أنه كان يحافظ على مواعيد محاضراته في مختلف المراكز الثقافية في مختلف الولايات، وقد

أدرك المتصلون به ما طُبِعَ عليه في هذا الشأن فكانوا
ولا يزالون يقدرّونه تقديرًا كبيرًا.

وأبرزُ الخصال الحميدة التي عُرف بها هي طيبة
القلب ونقاء السريرة والتواضع الجَمّ والبساطة، فلم يكن
يحفلُ بكثير من الأمور التي يوليها البعضُ شطراً كبيراً
من عنايتهم واهتمامهم، لقد كان مربيّاً ومثقفاً جمع بين
فضيلتي العلم والتواضع.

وكانت مواضيع جلساتنا تدور حول اللغة والأدب
والتاريخ وألغاز الحضارة والسياسة والتربية والدين...
إلخ.

وإذا زاره زائر في مكتبه-عندما كان ناظرًا بثانوية
بواسماعيل أو مديراً لثانوية شرشال الجديدة أم ثانوية

فوكة، فيما بعد- رحّب به بمكتبه أجمل ترحيب ويشمله بلطفه ومودّته.

*** الأستاذ فراد كان أستاذ مادة التاريخ، وكاتب هذه السطور كان أستاذ مادة الأدب العربي بثانوية بواسماعيل.**

والحق أنه كان قطب المجلس. ومن عاداته أيضا، أن يضع ما يتوارد إليه من جرائد ومجلات خلال الأسبوع، على منضدة يقفُ حولها الحاضرون فتناقش قضية معينة وتُتقدُّ، ويُطلع زائريه أيضا، على بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة، التي دخلت حديثا في خزانته، فيكون من وقوفهم عليها مادة حسنة للحديث في مجلسه، ومن مناقب الأستاذ فراد أنه ولد وعلى رأسه مقدمة ابن خلدون وفي قلمه إنية مولود قاسم، رحمه

الله، ومعاصرتة، فقد عكف هذا الباحث على تسجيل الكثير من الأحداث التي عاشتها الجزائر ومنطقة القبائل، خصوصًا، وهذه الأحداث، التي كتب عنها، البعضُ منه منشور والبعض الآخر ما زال حبيس آثاره المخطوطة حتى الآن.

والمحدث وقف على معظمها فوجدتُ فيها ما هو جدير بالنشر بصورة ملحة لأهميته الكبيرة. وربما أكون في عصمة من التطاول إذا قلت إنني أول قارئ لهذا الباحث بحكم الجوار والزمالة القديمة والاهتمام المشترك.

وأول كتاب قرأته له هو القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف⁽¹⁾ أختصر القول فأقول: الأستاذ فراد جزائري المحتدّ، صافي الأرومة، عربي،

إسلامي الثقافة، عصري النزعة، نشأ في أسرة ثورية فأبوه شهيد وأخوه شهيد، وخبر الحياة الحزبية وشهد جوانب شتى منها، ثم أصبح عضواً بالمجلس الشعبي الوطني يصغي إلى مناقشاته ويجالس الوزراء وبذلك خبر الحياة السياسية وأطلع على كواليسها، وهذه كلها تجارب لم تُتَحْ لكثير من الناس إلى جانب ذلك كان الرجل نزيها تتمثل فيه السجايا الأصيلة مترقعا على صغائر الأمور.

2- الأستاذ فراد باحثا:

من حق أية أمة أن تفخر بعلمائها وأدبائها ومبدعيها، ومن واجبها أيضا، أن تكرمهم أحياءً وأن تمجدهم بعد وفاتهم عرفانا لما قدموه وتذكيرا للأجيال اللاحقة بما قدموه ليصبح كل واحد منهم نبراسا لمواطنيه، وتكريم

العلماء والمفكرين والأدباء في غاية الأهمية، لأنه يؤكد مقدار الأثر البالغ الذي يتركونه في ضمير الأمة التي ينتمون إليها كما يؤكد القيمة الإبداعية والعلمية لأعمالهم الخالدة.

هذه المداخلة المتواضعة عبارة عن خلاصة لقراءة يمكن أن تطول لكتابات الأستاذ محمد أرزقي فراد كاتبًا وباحثًا، وأخصّ بالذكر نقده لكتابات المؤرخين الذين نشروا أبحاثًا كثيرة حول الجزائر عمومًا، ومنطقة القبائل خصوصًا، وأغلبهم كانوا ضباطًا أو رجال دين بعد الغزو الفرنسي مباشرة.

1- تقدم الأستاذ فراد بهذا البحث للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة

وأبحاث هؤلاء الكتاب والمؤرخين أوقع في وهم الكثير
منّا أنها علمية وعالمية وتصلح لكل زمان ومكان، وأنها
تشكل لبّ أبحاثنا وجوهرها ومعيارًا لقياس ثقافة الباحث
والأديب إلى آخر هذه اللازمة المشروخة.

لا يكتف الباحث محمد أرزقي فراد القراء سرًا، حسب
فهمي الخاص، أن كثيرًا من آرائنا حول أبحاث هؤلاء
المؤرخين ليست إلاّ صدى للدعاية الاستعمارية التي
تحيط بهذه الأبحاث، حقًا أو باطلا، وبعبارة أخرى،
حسب الباحث فراد فإن عدوى هذه الأفكار، قد أصابت
الكثير منّا وتغلّغت في مفاصلهم ثم أخذت تشق
طريقها الملعومة في عظامهم وأعصابهم، ولا يعود أحد
منهم قادرًا على استئصالها لتمكّنها منهم. ويقول الباحث
فراد: " إن ما أنجزه الفرنسيون من دراسات أنتروبولوجية

حول منطقة القبائل بصفة خاصة لم يكن لوجه العلم
والمعرفة أو لسواد عيون الأهالي كما صار بعضنا
يعتقد اليوم...⁽¹⁾

ويقف هذا الباحث المتميز حذرًا من كثير ممّا كتبه
هؤلاء في التاريخ والشعر والعادات والتقاليد، لأن
أفكارهم ليست إلاّ إفرازًا أوروبيًا وفرنسيًا بوجه خاص،
شاع في أبحاثنا وآدابنا، مع شيوع كثير من الأعراف
الأوربية والثقافة الأوربية والقيم الأوربية والسيطرة
الأوربية، بحيث أصبح المصابون بهذه العدوى يعتقدون
أن هذا الإفراز هو النموذج الحضاري الذي لا يستطيع
مستطيع أن ينال منه أو ينظر فيه أو يرفض بعض
جوانبه.

هذا لا يعني أن الباحث محمد أرزقي فراد يرفض كلَّ ما هو أوربي، أستغفر الله، بل يعني أنه يقف حذرًا ممّا تزودنا به هذه الأبحاث غير البريئة أحيانًا كثيرة، ما دام قسم كبير منها كان أساس البلاء الذي حاق بنا لمدة طويلة، والعض يعاني منه حتى الآن.

ومادام الإنتاج المكتوب هو تاريخ للوجدان، فلا يعني هذا الباحث الوجدان الفرنسي أكثر ممّا يعنيه الوجدان الروسي والأمريكي، مثلاً، لأنه جميعه بالنسبة إليه أجنبي. وقيمته عند الباحث فراد بقدر تنميته لشخصيته الوطنية، أما إذا تعارض مع هذه الشخصية، فإنّه حتماً يكون مرفوضاً، أو على الأقل يكون موضع نظر ومناقشة في كتاباته.

ومن هذا الباب، لا من غيره، يجد نفسه صريحاً مع نفسه وصادقاً حين يعلن في أكثر من بحث ومقال أنّ كتابات هؤلاء المؤرخين، مدنيين وعسكريين، أثناء وجودهم في بلادنا ليست بريئة، بعد أن قرأها في أصولها المكتوبة باللغة الفرنسية أو التي ترجمت إلى اللغة العربية، وأنّ الباحث فراد، مثلاً، يجد طاقة متفجرة في كتاب "المرأة" لحمدان خوجة، حيث لا يستطيع أن يوجد مثل هذا العمل التاريخي الهام في أي عمل تاريخي فرنسي أو أوروبي يتحدث عن الجزائر في تلك الفترة واصطلحنا عليه أنه عمل كبير وخالد.

ليس في هذا الاستنتاج من مؤلفات الباحث فراد تعصبٌ وطني أو ديني أو ما شابه ذلك، بل فيه، إن جاز التعبير، شيء من وعي الذات الذي يضع أي

إنتاج مكتوب على طاولة التشريح وينظر إليه من خلال
علاقته بتسمية هذه الذات أو إلغائها. فكل ما يهدف إلى
إلغاء هذه الذات مرفوض، حتماً، وكل ما يهدف إلى
تبصرتها واشتدادها مطلوب ومرغوب فيه، مهما كان
مصدره.

وكأني بالباحث يتمنى لو أنّ الباحثين الجزائريين
والعرب، عموماً، يقتنون في مناهجهم بالباحثين الألمان
والروس، على سبيل المثال، الذين قلّموا يستشهدون
بالأجانب حتى في الحالات النظرية العامة في مجالات
الآداب والتاريخ، فالتطبيقات النقدية والفكرية، مثلاً،
تتصرف عندهم، دائماً، إلى التاريخ الوطني والقومي،
ولا تتعدّاه إلاّ بما يعرّز هذا التاريخ ويزكّيه.

أما عندنا، نحن العرب، فقد دأبنا بصورة عشوائية هجينة على ربط فطاحلنا في مختلف التخصصات بفطاحل أوروبا، وكأنّ تاريخنا وأدبنا انقطعت صلته بتاريخ أدبنا القديم ثم وجدنا له تاريخاً قادماً إلينا مع الغزو من أوروبا، وهذا انعكس حتى على دراسة أدبنا القديم والحديث معاً.

إنّ الإنسان، عند الباحث فراد لا يستطيع أن يلغي بجرة قلم المؤثرات الأجنبية، فهذا نوع من الهديان، لكنّه حين يلغي حقائق التاريخ بحجّة المؤثرات الأجنبية يصبح لزاماً علينا أن نقف حيالهُ وقفة المتأمل المناقش الرافض. ويقول الباحث فراد: "أما الأدوات المساعدة على تجسيد الإصلاح فلا بأس من اقتباسها من

الحضارة الغربية ما دامت لا تحمل صبغة إيديولوجية معينة⁽¹⁾.

ويستنتج من كتابات الباحث محمد أرزقي فراد أن بعض الكتب التاريخية المترجمة من اللغة الأجنبية تفتقر إلى الاختيار القائم على إطلاع واسع على مدارس التاريخ، الأمر الذي يجعل المترجمين يختارون كتبًا غير متطابقة مع أهداف مؤرخينا في العصر الحديث.

لا شك في أن ترجمة هذه الكتب التاريخية الأجنبية عمل مفيد للتعرف على كتابات المؤرخين الأجانب وأبحاثهم، كما أنها من الأعمال المفيدة في تطوير أدوات الكتابة التاريخية، إلا أنّ ذلك مرهون بدقّة الاختيار والقدرة على إعطاء هذه الكتب ما تستحقه من النقد والتمحيص.

لقد أدرك الباحث محمد أرزقي فراد منذ أعماله التاريخية الأولى، أن عليه واجب البحث في تاريخ الجزائر، عمومًا، والمنطقة التي ينحدر منها، خصوصًا.

إنه مخلص لإيجاد أسلوب تاريخي جديد، له القدرة على مخاطبة الضمير الحي، وإخلاقه هذا سيقوده، حتمًا، للوصول إلى نتائج هامة في مجال البحث التاريخي.

إن الباحث محمد أرزقي فراد يعي بأن المؤرخ الجزائري يقف على إرثٍ ضخم، وما عليه إلا أن يكتشف سرَّ العلاقة بين ذلك الإرث وهموم الإنسان الجزائري اليوم وملامح مستقبله.

وعبرَ اكتشافِ هذا السرّ الذي ينطوي بالتأكيد على قضايا تاريخية جديدة وأصيلة، سيتمكّن المؤرخ الجزائري من إيجاد شخصيته المستقلّة والفاعلة في حركة التاريخ.

3- الباحث محمد أرزقي فراد والشعر الأمازيغي:

اهتم الباحث م. أرزقي فراد كثيراً بالشعر، عموماً، والشعر الأمازيغي، خصوصاً، لأنّ الشعر الأمازيغي عنده، من خلال كتاباته، صوت جادّ وصارخ يخرج من قلب الإنسان الذي يأتي مرسلًا وعفوّ الخاطر معبراً عن معاناته اليومية وقصص حبّه وبطولاته وأمجاده الخالدة والمتجدّدة التي توارثها أباً عن جدّ. أضف إلى ذلك، أنّ أرض منطقة القبائل ملهمة بشواطئها الجميلة وجبالها وأوديتها وحقولها التي يجوبها الرعاة والفلاحون على رواحهم صباحاً ومساءً، ويقول الباحث م. أرزقي فراد:

"إنّ الحكمة تقتضي الاعتزاز بهذا التراث الشعبي بطريقة تتسجم مع ثوابت الهوية الجزائرية الأخرى، وهي الإسلام والعربية والوحدة الوطنية"⁽¹⁾. والإنسان في منطقة القبائل يعتزّ بانتمائه إلى هذه المنطقة أيّما اعتزاز فما بالك إذا كان شاعراً.

وفي منطقة القبائل تستقبلك صورتان، فالماء والكأ والغابات وزوايا التي تدرس القرآن الكريم وعلوم اللغة والدين، ثم الحركة الدؤوبة والوجوه الصبوحه، كل ذلك يرسم في ذاكرة الكاتب، عموماً، وهو يتجول في ريف منطقة القبائل.

أما في المدن فتستقبلك العمارات وأرتال السيارات والشاحنات والمآذن العالية التي تتحدى

أدخنة المحركات المختلفة وغبارها وسط حياة ذات
إيقاع سريع وحركة دائبة. والصناعات التقليدية كالزراعي
والملبوسات والأدوات المنزلية وأدوات الزينة الفضية،
فهي تمتاز بجمال فريد، لإتقانها وذوقها الفني الشعبي
الرفيع، وهذا كله موجود بوضوح في كتابات الباحث
فرد، ما من كتاب من كتبه إلا وفيه شيء من هذا قل
أم أكثر.

وباعتبار هذا الشعر رافضاً لكلّ استسلام وهروب،
ونابعاً من قلب المنطقة النازف، وإصراراً على أن يظل
الشعر زاداً للجماهير، ولغة تدخل إلى قلوب الناس
لتوحد بينهم وشريكاً قادراً وفاعلاً. أقول يعتمد الباحث
م. أرزقي فرد على الشعر لالتزام الشعراء بالإنسان في

تطلّعه وطموحه وتأكيداً لوجوده تحت الشمس وطناً
للكبرياء والكرامة.

وباعتبار الشعر، ومنه الشعر الأمازيغي، سجلاً
للأحداث بكلّ أفراحها ومآسيها عبر العصور، تركت
بصماتها على الشعر الأمازيغي، كما على شعر الأقوام
الأخرى. وركّز الباحث م. أرزقي فراد في تطرقه، أكثر
من مكان، في الشعر الأمازيغي، على الصورة الشعرية
والموسيقى المتميّزة، والحسّ المنطلق من داخل
الإنسان، والسموّ الإنساني والصفاء الروحي، أمثال
الشاعر الكبير الحاج أسعيد القائل:

أيها المریدون، الشمسُ على المغیب

القیامة على الأبواب

تمادی الرجال في قدح

أولياء الله الصالحين

أصبح السافل عالياً

وهوى أهل الصوفية

ثَبَّتْنَا اللَّهُم عَلَى الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ

مَا دَامَت الدُّنْيَا فَانِيَةً⁽¹⁾

1

ولونيس آيت منقلات القائل (1):

الأمازيغية الغالية

أمانة لا تُنسى

لا ترهن ولا تباع

أعرفي ما هو لك
حذاري أن تضيعيه
ذات يوم أيتها القبائلية

ستشرق الشمس

ويطلّ الفجر

يا وطني... (2)

واستنتجتُ من كتابات الباحث م. أرزقي فراد أنّ
القصيدة، عنده، هي أن تدخل فيها همّ الإنسان وقلقه،
وأن نجعلها تعاني معه التوتّر الدائم والخلّاق، وأنّ
تصاحب مسيرة الإنسان الطويلة رفيقة لا عقبة، كما أنّ

الحدائفة، عنده، ترافق حدائفة الإنسان نفسه لا تأتي
متخلفة عنه ولا سابقة له.

وأرى كقارئ أنّ بحدوئ الأستاذ م. أرزقي فراد التي
طُبعت أصبحت توجّهاً جديداً في ميدان دراسائنا
التاريخية، لأنّ هذه الدراسات التي تابعتها ومازلت أتابع
ما ينشره من المواضع جدير بالاهتمام، وهي في حاجة
إلى أن تأخذ حيزاً كبيراً من المناقشة، كونه يسجل أهمّ
مواجهة فكرية التي تستهدف أصالة الثقافة الوطنية، في
أيامنا هذه.

المراجع:

1- د. محمد أرزقي فراد، إطلالة على منطقة القبائل،
دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006. الصفحات

- 2- د. محمد ارزقي فراد، كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.
- 3- الأمازيغية آراء وأمثال، مطبعة دار هومة، 2004.
- 4- أزفون تاريخ وثقافة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2003.
- 5- م. أ. فراد، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، دار الأمل، تيزي وزو، 2009، ص 9.
- 6 - محمد أرزقي فراد، آيت منقلات حكيم الزمان، منشورات التبیین - الجاحظية، 1996، ص 16 - 17 .

تقديم أطروحة الدكتوراه

المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية
1749-1949م

للباحث محمد أرزقي فراد

إعداد

الدكتور أرزقي شويتام
أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر

تم في شهر يوليو عام 2011م، مناقشة أطروحة
جامعية التي تقدم بها الباحث محمد أرزقي فراد لنيل
درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من
جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم
التاريخ، والموسومة ب "المجتمع الزواوي في ظل
العرف والثقافة الإسلامية 1749-1949م"، تحت
إشراف الدكتور أرزقي شويتام. وبعد مناقشة مستفيضة
من أعضاء اللجنة المشكلة من السادة الأستادة :
. أ.ة.د/ فلة موساوي القشاعي رئيسة.
. د/ أرزقي شويتام مقررًا ومشرفًا

.د/ إبراهيم لونيبي عضوا مناقشا.

.د/ أحمد رميثة عضوا مناقشا.

.د/ محمد جلاوي عضوا مناقشا.

قررت اللجنة بالإجماع منح الطالب الباحث درجة

مشرف جدا.

يشرفني في هذه المناسبة السعيدة أن أعرف

بحييات هذا العمل العلمي الجاد، الذي يعد بمثابة لبنة

في حقل البحث الأكاديمي، تضاف إلى رصيد المكتبة

الجزائرية.

ظروف اختيار الموضوع : سبق لي أن تناولت بعض

جوانب هذا الموضوع في أبحاثي الجامعية، إلا أن ذلك

كان في سياق تاريخ الجزائر العام. ولما أدركت أهمية

الموضوع، وعذريته، اقترحتة على طلبة الليسانس،

الذين أنجزوا مذكرة التخرج. وبالرغم من كل ما تم

إنجازه، فإنه لم يبلغ درجة النضج، لقلة خبرة الطلبة، ولافتقارهم إلى أدوات البحث التي تقتضيها مثل هذه المواضيع، مثل توفر المصادر الأساسية، والتحكم في اللغة الأمازيغية، التي تعد من الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر لدى الباحث في التاريخ المحلي. ومن هنا جاءت فكرة إسناد المشروع إلى الأستاذ الباحث محمد أرزقي فراد، الذي سبق له أن أنجز بعض الأعمال عن بلاد الزواوة، كما أنه تتوفر فيه المؤهلات العلمية، مثل تحكمه في لغات البحث، لاسيما اللغة الأمازيغية، وإلمامه بقسط وافر بالعلوم الدينية. علاوة على التكامل والقواسم المشتركة الموجودة بين الأستاذ المشرف والباحث، منها انتمائهما إلى نفس المجتمع، وتحكمهما في لغته الأمازيغية، وفهمهما لسلوك أفرادها، ونمط معيشتهم، وطريقة

تفكيرهم. وقد ساهمت كل هذه العوامل في التذليل كل العقبات، وتسهيل عملية التواصل بين الباحث والمشرّف، مما كان له انعكاسات إيجابية على سير البحث والنتائج المحققة منه.

فقد قام الباحث بعد اطلاعه على المصادر والمراجع، بتعديل طفيف لعنوان بحثه من المجتمع الزواوي في ظل العرف والشريعة إلى المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، فوافقت على ذلك التعديل دون تردد، لكونه يعكس بصدق الهدف المنشود تحقيقه من البحث من جهة، ولشموليته من جهة أخرى.

خطة البحث ومحتوياته: قسم الباحث رسالته إلى ستة أبواب، وكل باب يحتوي على فصلين أو ثلاثة فصول، علاوة على المقدمة والمدخل والخاتمة. وهذه الخطة التفصيلية للبحث:

الباب الأول:

الفصل الأول: العرف وفعالياته في المجتمع الزواوي

الفصل الثاني: تصادم العرف بالثقافة الإسلامية

الفصل الثالث: تأثير العرف بالشريعة الإسلامية

الباب الثاني:

الفصل الأول: المعتقدات الشعبية

الفصل الثاني: الاحتفالات بالأعياد الموسمية والفلاحية

الباب الثالث:

الفصل الأول: دراسة وصفية ونقدية للقوانين العرفية

الفصل الثاني: نماذج من القوانين العرفية

الفصل الثالث: دراسة تحليلية للقوانين العرفية

الباب الرابع:

الفصل الأول: النظام التعليمي التقليدي في الزاوية

الفصل الثاني: نماذج من مؤسسات الزوايا التعليمية

الفصل الثالث: المرابطون وأعلام الزوايا

الباب الخامس:

الفصل الأول: التدين الشعبي

الفصل الثاني: البعد الروحي في الآداب الشعبية

الباب السادس:

الفصل الأول: الحركة الإصلاحية في بلاد الزواوة

الفصل الثاني: من أعلام الإصلاح في الزواوة

الفصل الثالث: مدارس التعليم العربي الحر

الخاتمة

إشكالية البحث: قبل تحديد إشكالية البحث، أشير إلى

دوافع اختياره. تتلخص دوافع الكتابة في هذا الموضوع

والبحث فيه، في كون هناك إلى يومنا هذا من يجهل

حقيقة المجتمع الزواوي، فيحللون واقعه، ويفسرون

سلوك أفراد، وفقا لتلك الأحكام والنظريات الموروثة عن

المدرسة الكولونيلية، وقد يعود ذلك إلى قلة الدراسات العلمية الجادة، التي اهتمت بالمجتمع. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، وضع الباحث هدفاً أساسياً لبحثه، يتلخص في تصحيح تلك الصورة النمطية للمجتمع الزواوي، وذلك بالعودة إلى المصادر المحلية.

أما إشكالية البحث، فتتمحور حول تحديد طبيعة العلاقة الموجودة بين العرف والثقافة الإسلامية، هل هي مبنية على التكامل أم التنافر؟ وما هي مكانة الإسلام في المجتمع الزواوي؟ وتتفرع الإشكالية الرئيسية إلى جملة من الإشكاليات الفرعية.

مميزات البحث:

1. تنوع المصادر، اعتمد الباحث على مجموعة لا بأس بها من المصادر والمراجع الأجنبية والمحلية، كما

استفاد من الرصيد الشعري الأمازيغي والأمثال الشعبية،
التي تعد مصدرا أساسيا لدراسة المجتمع الزواوي.

2. اعتمد الباحث على القوانين العرفية التي كانت
بمثابة المادة الأساسية لبحثه، فقام بتصنيفها، وتحليلها،
ونقدها، وقدم قراءة جديدة لها.

3. قام الباحث بترجمة جزءا من التراث الأمازيغي من
لغته الأصلية واللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. وأعتقد
أن الباحث قد قدم خدمة جليلة للباحثين بعمله هذا، إذ
أضحى بإمكان الاطلاع على التراث الأمازيغي وبعض
جوانب من ثقافة المجتمع الزواوي، مما لا شك يساعد
الكثير على تصحيح أحكامهم ووجهات نظرهم المسبقة،
إزاء المجتمع الزواوي، وهذا ما يؤدي حتما إلى تسهيل
عملية التواصل بين مختلف أفراد المجتمع وشرائحه.

الأهداف المحققة من البحث : حقق الباحث مجموعة

من الأهداف، نذكر منها على سبيل المثال: . قام الباحث بإعادة قراءة لكل ما ورد في المصادر الغربية، قراءة موضوعية تحليلية نقدية.

. قام الباحث بتصحيح بعض المفاهيم والأحكام المتعلقة بالمعتقدات والسلوك والمعاملات العامة، وصحح في نفس الوقت الصورة النمطية للمجتمع الزواوي الموروثة عن المدرسة الكولونيالية.

. أبرز الباحث مكانة الإسلام الحقيقية في المجتمع الزواوي، وإسهامات علمائه في الحفاظ على الثقافة الإسلامية ونشرها، ودورهم في تهذيب العرف وتكييفه مع الشريعة الإسلامية، وأثبت بالمناسبة ذلك التكامل الموجود بين العرف والشريعة، وأدحض بالبينة الدامغة

الرأي القائل أن إسلام مجتمع الزواوي كان سطحيا،
ويتناقض مع الشرع الإسلامي.

. وأخيرا، فإن الباحث قد أثبت بترجمته للتراث الأمازيغي
(الشعر والأمثال والحكم) من لغته الأصلية إلى اللغة
العربية، أن هذه الأخيرة قادرة على أن تستوعب الحرف
الأمازيغي أكثر من غيرها من اللغات، وذلك بحكم
التقارب الموجود بين اللغتين.

نتائج البحث: خلص الباحث إلى مجموعة من النتائج

التي يمكن أن نذكر بعضها منها:

. أن قرى الزواوة، كانت تسيّر بموجب القوانين العرفية

الشفوية المتوارثة عن الأجداد، وقد وفرت الاستقرار

لأهلها في غياب دولة مركزية قوية كفيلة بتوفير الأمن

والأمان للسكان.

. رغم عجز القوانين العرفية عن نقل المجتمع الزواوي من الحياة الريفية البسيطة إلى الحياة المدنية الراقية، فقد أنقذته من حياة التوحش، إذ حملت في ثناياها قيم الحرية والعدل والتضامن، تجلت فيها العقلنة ولو بأشكال مبسطة، من خلال أخذ العاملين الزمني والمكاني بعين الاعتبار. لذا لم تكن هذه القوانين العرفية جامدة، بل كانت تساير ما كان يستجد على الساحة الاجتماعية من تغيرات.

. أن القوانين العرفية قد تقاطعت إلى حد كبير مع القيم الإسلامية في خدمة الإنسان وإسعاده. ونجح الإسلام في تهذيب القواعد العرفية إلى حد بعيد، حتى صارت تتسجم مع مقاصد الشريعة الهادفة إلى حفظ الدين (العقائد والعبادات والمعاملات)، وحفظ النسل بالزواج والتناسل، وحفظ النفس بتعهدا بالرعاية الصحية

والأكل والشرب والملبس والسكن، وحفظ العقل عن طريق تعهده بالتربية والتعليم، وحمايته من كل الملوثات التي من شأنها أن تعطله، وحفظ المال عن طريقة حمايته من السرقة والغش والخيانة وأكله بالباطل. لذا صارت الثقافة الإسلامية بمثابة العمود الفقري للمجتمع الزواوي، ولعل ما يؤكد ذلك، أن اجتماعات مجالس القرية تفتتح وتختتم وجوبا بالدعاء (قراءة الفاتحة) من طرف شيخ القرية.

. شكلت الزاوية (ثيمعمرث)، حجر الأساس في المجتمع الزواوي، فقد كانت مؤسسة قوية، ذات مهام متعددة، تشرف على حياة الناس، وتسيّر أمورهم في السراء والضراء، والسلم والحرب. ويمكن إجمال أدوارها في النقاط الآتية:

. التربية والتعليم.

. إصدار الفتوى.

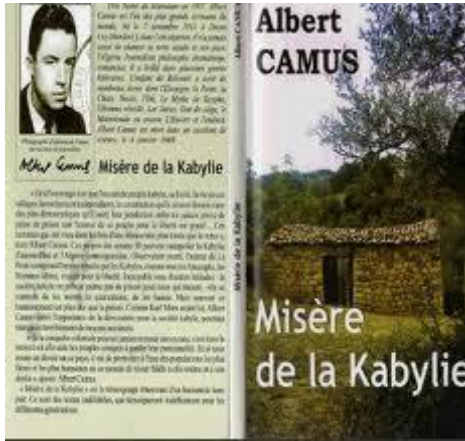
. فض النزاعات.

. التكفل الاجتماعي بالفقراء، والمسافرين، وذوي الحاجة.

. إعلان الجهاد، والدفاع عن الوطن في حالة حدوث

غزو أجنبي.

ملاحق



- أصل هذا الكتاب هو مجموعة من المقالات الصحفية
 نشرها الكاتب، لكنه لم يتجرأ فيها على نقد ظاهرة الاستعمار
 الفرنسي التي كانت سببا في بؤس وإفكار الجزائريين.

ESSAI
DE
GRAMMAIRE KABYLE

REPRÉSENTANT
LES PRINCIPES DU LANGAGE PARLÉ

PAR LES POPULATIONS DU VERSANT NORD DU JURJURA

ET SPÉCIALEMENT

PAR LES BLAGOUAGUEN DU ZOUGAÇA

OUVERT

DE NOTES ET D'UNE NOTICE

Sur quelques inscriptions en caractères dits Tiflins' et en langue Tamachek'

PAR

A. HANOTEAU

GÉNÉRAL DE BRIGADE EN RÉTRAITÉ

COMMANDEUR DE LA LÉGION D'HONNEUR

ANCIEN COMMANDANT DES STATIONNEMENTS DE BELLIN, MELANA ET ORLÉANSVILLE

DEUXIÈME ÉDITION



ALGER

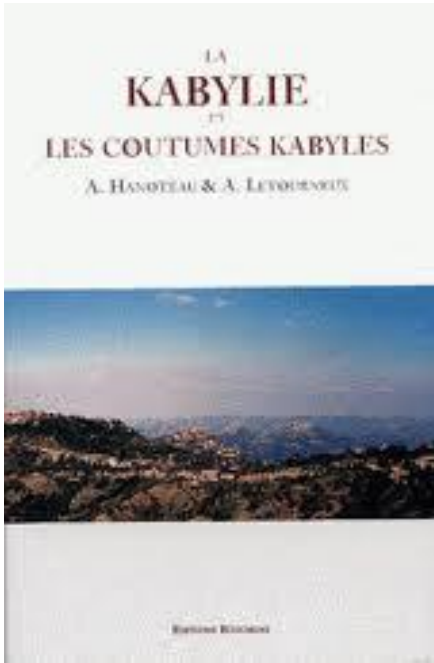
TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN

IMPRIMEUR-LIBRAIRE DE L'ACADÉMIE

4, PLACE DU GOUVERNEMENT, 4

1906

اهتم الجنرال هانوتو بتقعيد اللسان القبائلي الأمازيغي
في سياق سياسة "فرق تسد"، لتكريس ظاهرة الاستعمار.



- يعد هذا الكتاب أهم مؤلف عن المجتمع الزواوي في القرن
19 م، والغاية منه، فهم المجتمع من أجل إحكام السيطرة عليه
وليس لغاية معرفية كما يتوهم البعض.

الإيداع القانوني:

ردمك (ISBN):

■ دفاتر المجلس سلسلة منشورات الجيب، تتضمن خلاصات النشاطات الثقافية التي عرضت ضمن منابر: حوار الأفكار و شخصية و مسار و فرسان البيان من محاضرات و ندوات و موائد مستديرة.

صدر حديثا من هذه السلسلة

- ★ مكانة المرأة في المجتمع التارقي و مقاومته للاحتلال الكولونيالي.
- ★ أهمية وضع سياسة وطنية للغات.
- ★ ثقافة الطفل في الأسرة.
- ★ لغة المسرح في الجزائر: الإبداع، الترجمة، الاقتباس.
- ★ أهمية الشعر الغنائي في نشر اللغة العربية و في إذكاء الروح الوطنية.
- ★ الأستاذ عبد الله شريط: خصال، منهاج و أفكار.
- ★ لغة الإبداع و الإبداع في اللغة: الرواية الجزائرية أمودجا .
- ★ دور التراث الطبي العربي الإسلامي في تقدم الطب
- ★ محمد العربي دماغ العتروس
- ★ المسار السياسي و المهني للدكتور محي الدين عميمور
- ★ لغة التنمية وتنمية اللغة للدكتور عمار بوحوش
- ★ أول مارس اليوم العربي للاحتفاء بلغة الضاد
- ★ في الوعي التاريخي: حالة الجزائر للدكتور جمال قنان
- ★ الأستاذ الأمين بشيشي: المناضل والفنان الموهوب
- ★ في يوم العربية 01 مارس: تاريخ عريق ولغة جامعة